AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

إلى مكتبة القاهرة في الجامعة مع إخلاص حبي. المؤلف
مدرس سليمان
موسى سليمان
892.7308
S.94yA
C.1
١٩٤٨
ب ٥٠ ٤١

ماجستير في الآداب
مدير الدروس العربية بالقسم الاستعدادي
في جامعة بيروت الاميركية

يُحلى عن العرب

67938

دار العلم للملايين

للمؤلف

الحب العذري (دار العلم للملايين)

يحكى عن العرب (دار العلم للملايين)

•

تحت الطبع :

القصص العربي

شباط ١٩٤٨

مقدمـــة

يُحكى عن العرب حكايات وأساطير : حكايات فيها من الواقع ما يحملُ على الاعتزاز والفخر بماضي العرب المجيد ، وأساطيرُ يلعبُ فيها الخيال المنطلق فيحمل القارىء على أجنحةٍ من السحرٍ!

ولعـــل الأدباء ومؤرخي الأدب العربي لم يختلفوا في شيء كاختلافهم في النظر الى تراث العرب القَصصي . فمنهم من ادّعى انّ الادب العربي ، على غناه في الشعر ، لم يعرف القصّة . ومنهم من يخالف هذه النظرية فيقول : « كما أن أوروبا مدينـــة بديانتها لليهود ، فكذلك هي مدينة بقصصها للعرب . »

وليس غرض هـــذا الكتاب أن يفصل بين هاتين النظريتين المتناقضتين ، فالموضوع أوسع من أن يفصل فيه بحثٌ موجزٌ مثل هذه المقدّمة . والذي نستطيع أن نقرّره دون أقـل شك هو أن التراث القصصي الذي وصلنا عن العرب هو تراث ضخم يحمـــل الكثير من الخير ، والكثير من الجمال ، فحرامٌ أن يمر به الطالب العربي مروراً سطحياً فلا يعيره اهتماماً ، ولا يدير اليه بالاً .

ولقد آثرنا ، خدمةً لطلابنا العرب ، في مختلف أقطـــارهم ، ومتعدّد مدارسهم ، أن نعرض لهم نموذجات مختلفة من هـــذا القصص بعد أن نقسمه إلى أقسامه الرئيسية ونقـــدّم لكل قسم بدراسة تحليلية تسهل على الطالب فهم الموضوع ، فيقدره حق قدره.

ونحن نستطيع أن نقسم القصص العربي الى قسمين رئيسيين :

١ – القصص المقتبس أو الدخيل .

٢ – القصص العربي الصميم .

فالقصص الدّخيل هو الحكايات التي دخلت على العرب من الامم الغريبة كالهند والفرس واليونان وغيرها من الشعوب التي احتكّ بها العرب في عصورهم المختلفة. وخيرُ ما يمثلُ هذه الحكايات كتابان قيّمان هما من أحسن الآثار الأدبية العالميّة ، أعني بهما : حكايات الف ليلة وليلة و كتاب كليلة ودمنة .

أما القصص العربيّ الصميم، واسمهُ يدلّ عليه ، فهو ينحصر في الحكايات التي نسجتها مخيّلة الرّواة العرب وزخرت بها كتبُ الأدب العربي القديم كالعقد والأغاني ، وفي الكتب القصصيّة التي ظهر معظمها في العصر العباسي الثالث . واليك جدولاً مفصلاً باقسام هذا النوع من القصص :

يُقسم القصص العربي الصميم إلى خمسة أقسام رئيسية :

١ – القَصص الأخباري .

٢ – القَصص البطولي .

٣ – القصص الديني .

٤ – القصص اللغوي .

٥ – القصص الفلسفي .

وسنحاول أن نتوسّع في شرح كلٍ من الأقسام الثلاثة الأولى، وهي موضوع هذا الكتاب ، ونضرب عليها الأمثلة المختلفة ، متوخّين فائدة الطالب ولذته الأدبية وتشويقه إلى التعمّق في دراسة لغته وآدابها .

ألف ليلة وليلة

١ ــ حكاية التاجر والجني

٢ ــ حكاية الصيّاد

الف ليلة وليلة

١ ـ اسمها :

جاء في كتاب الفهرست لابن النديم ما يلي :

« إن ملكاً من ملوكهم (أي ملوك الفرس) كان إذا تزوج امرأة ، وبات معها ليلة ، قتلها من الغد . فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلتْ معه ابتدأت تخرّفه وتصلُ الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى ان أتى عليها الف ليلة ، الى ان رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه ، فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . »

٢ ـ أصولها :

ترجع حكايات الف ليلة وليلة الى أكثر من أصل واحد . والذين ساهموا في كتابتها اكثر من شخص واحد. ونحن نقدر ان

نقول مطمئنين أن بعض حكاياتها مقتبس عن الهند وبعضها مقتبس عن اليونان والبعض الآخر هو عربي الأصل . أما جوّ الحكايات فجوّ عربيّ صميم .

٣ ـ شهرزاد وترجمانها :

شهرتها عالمية قلما حظي كتاب عربيّ بمثلها . لقد تُرجمت الى جميع لغات العالم تقريباً . وكان لها اثرٌ كبير في آداب الأمم الراقية . والكتّاب العالميون الذين اطّلعوا على هذا السفر القيم وتأثروا به اكثر من ان يحصى عددهم ، وهم ينتسبون الى جميع أمم العالم .

وكان لألف ليلة وليلة أثر كبير في عالم الفنّ والتمثيل فاستغلت موضوعاتها الشيّقة شركات السينما في العالم المتمدن فشاهدنا أفلاماً سينمائية رائعة نذكر منها «لص بغداد» و«علي بابا والاربعون لصاً» .

وأخيراً إلى الطالب العزيز بعضاً من حكايات الف ليلة وليلة فسيلمس مافيها من سموّ الخيال وروعة موضوعاتها الشرقية وطرافة نوادرها الأسطورية .

حكاية التاجر والجني

•

الليلة الاولى

قالت شهرزاد : حُكيَ ، ايها الملك السعيد ، انه كان تاجر من بعض التجار ، وكان كثير المال والمعاملات في البلاد . فركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد، فطلع عليه الحر ، فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه، فاخرج كسرة وتمرة فأكل الكسرة والتمرة . فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول . فدنا من التاجر وقال له : قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدي ! فقال له التاجر : كيف قتلت ولدك ؟ قال له : لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي ، وكان ماشياً فمات لساعته . فقال التاجر : انا لله وإنا اليه راجعون، لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . إن كنتُ قتلته فما قتلته الا خطأ مني ،أريد ان تعفو عني . فقال الجني : لا بد لي من قتلك . ثم انه جذبه وبطحه على الارض ورفع السيف

ليضربه ، فبكى التاجر وقال : فوّضت امري الى الله ، وأنشد يقول :

الدهر يومان ، ذا أمنٌ وذا حـذرُ
والعيش شطران ، ذا صفوٌ وذا كدرُ
قُلْ للذي بصروف الدهر عيّرنا
هل عاند الدهرُ إلا من له خطر
أما ترى الريح ، إن هبّت عواصفها
فليس تعصف الا ما هو الشجر
وما ترى البحر تعلو فوقه جِيَف
وتستقر بأقصى قعره الدرر
فان تكن عبثت ايدي الزمان بنا
ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها
وليس يُكسف إلا الشمس والقمر
وكم على الارض من خضرا ويابسة
وليس يُرجَم إلا ما له ثمر
أحسنت ظنك بالأيام إذ حسُنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

فلما فرغ التاجر من شعره قال له الجني : أقصر كلامك ، والله ، لا بد لي من قتلك فقال التاجر : إعلم أيها العفريت أنّ عليّ دَيناً ولي مال كثير واولاد ، وزوجة ، ورهون ، فدعني اروح الى بيتي وأوصل الى كل ذي حق حقه واعود اليك على رأس السنة ، ولك

علي عهد الله وميثاقه ، اني اعود اليك ، تفعل بي ما تريد ، والله على ما اقوله وكيل . فاستوثق منه الجني واطلقه . فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته ، واوصل الحقوق الى اهلها ، وأعلم زوجته واولاده ، وأوصى ، وقعد عندهم الى تمام السنة .

ثم انه قام وتوضأ، وأخذ كفنه تحت إبطه وودع اهله وجيرانه وجميع أقاربه وخرج رغماً عن انفه . فأقاموا عليه الصراخ والعويل. فتمشى الى ان وصل الى ذلك البستان ، وكان ذلك اليوم رأس السنة الجديدة . فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له ، إذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مقيّدة . فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له : ما سبب جلوسك في هذا المكان، وانت منفرد ، وهو مأوى الجان ؟ فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت ، فتعجب الشيخ، صاحب الغزالة، وقال :والله يا أخي ، ما دِينك إلا دِين عظيم ، وحكايتك حكاية عجيبة ، لو كُتِبَتْ بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر . ثم انه جلس الى جانبه وقال :والله، يا اخي، لا ابرح من عندك حتى انظر مايجري لك مع هذا العفريت.

ثم انه جلس عنده ، وبينما هما في الحديث ، أدرك ذلك التاجر الخوف ، والفزع والغمّ الشديد ، وصاحب الغزالة بجانبه . ثم أقبل عليهما شيخ ثان، ومعه كلبان أسودان من الكلاب السلوقية، فسألهما بعد السلام عليهما واستخبرهما وقال لهما : ما سبب جلوسكما في هذا المكان ، وهو مأوى الجان ؟ فأخبراه بالقصة من أولها الى آخرها . فما استقرّ بهما الجلوس حتى أقبل عليهما شيخ ثالث ،ومعه بغلة زرزورية ، فسلم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان ،

فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها ، وليس في الاعادة إفادة ، يا سادة !

فجلس عندهم ، واذا بغبرة قد أقبلت ، وزوبعة عظيمة من وسط تلك البرية ، فانكشفت الغبرة ، واذا به ذلك الجنيّ ، وبيده سيف مسلول ،وعيناه ترميان بالشرر ، فأتاهم ، وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم وقال له : قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي !ثم انتحب ذلك التاجر وبكى، وقامت الشيوخ الثلاثة بالبكاء والعويل والنحيب ، فانتبذ منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبّل يد ذلك العفريت ، وقال له : أيها الجني ، وتاج ملوك الجان ، اذا حكيتُ لك حكايتي مع هذه الغزالة ، ورأيتَها عجيبة ، تهب لي ثلث دم هذا التاجر ؟ فقال : نعم أيها الشيخ ، إذا حكيت لي الحكاية ، ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلثَ دمه .

حكاية الشيخ الأول والغزالة

فقال الشيخ : إعلم أيها العفريت ، ان هذه الغزالة هي بنت عمي ولحمي ودمي،وكنت تزوّجت بها ،وهي صغيرة السن ، وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها ولداً . فأخذت لي سُرّية ، فرزقت منها ولداً ذكراً كأنه البدر . فكبر ونشأ وصار ابن خمسَ عشرةَ سنةً ، فعرَضتْ لي سفرةٌ إلى بعض المدائن ، فسافرتُ بتجرٍ عظيم وكانت بنتُ عميّ هي الغزالة قدتعلّمت السحرَ والكهانة من صغرها فسحرتْ ذلك الولدَ عجلاً وتلك الجارية أمه ، بقرةً

وسلمتها الى الراعي .

وجئت أنا بعد مدة طويلة ، من السفر . فسألتُ عن ولدي وامه فقالت لي : أمرأتكَ ماتتْ ، وابنك هَرَب ، ولم أعلم أين راح فجلستُ مدة سنة ، وأنا حزين القلب ، باكي العين ، إلى أن جاء عيدُ الله الأكبر . فأرسلتُ إلى الراعي وامرته أن يُحضرَ لي بقرة سمينة ، فحضَر ببقرة سمينة ، وهي جاريتي التي سَحرتها هذه الغزالة . فشمّرتُ أذيالي ، وأخذتُ السكين بيدي وأردتُ أن أذبحها ، فصاحت وولولت ، وبكت ، فتعجبتُ أنا من ذلك ، وأخذتني الرأفة ، فوقفتُ عنها وقلت للراعي : إئتني بغيرها . فصاحت ابنةُ عمي هذه : اذبحها ، فما عندي أحسنُ ولا أسمنُ منها ! فتقدمت اليها لأذبحها فصاحت . فقمتُ وامرت ذلك الراعي بذبحها وسلخها ، فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحماً ولا لحماً غيرَ جلدٍ وعظم . فندمتُ على ذبحها ، حيثُ لا ينفعني الندم ، وأعطيتُها الراعي وقلت له : إئتني بعجل سمين . فأتاني بولدي فلما رآني ذلك العجل ، قطع حبله وجاءني وتمرّغ عليّ وولولَ وبكى . فأخذتني الرأفة عليه فقلت للراعي : إئتني ببقرة ودَعْ هذا . فصاحت بنت عمي وقالت : لا بدّ لك من ذبح هذا العجل ، في هذا اليوم ، فانه يومٌ شريف مبارك لا يُذبح فيه إلا الشيء المليح ، وليس عندنا بين العجول أسمنُ منه ولا أحسنُ منه . فقلت لها : أنظري كيف كان حال البقرة التي ذُبحت بأمركِ ، فها نحنُ طلعنا منها خائبين وما انتفعنا منها بشيء ، وندمت غاية الندم على ذبحها . والآن لا أقبل منك كلاماً في ذبح هذا العجل . فقالت لي : والله العظيم ، الرحمن الرحيم ،

لا بدّ لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف ، وان لم تذبحه فما أنت زوجي ، ولا أنا زوجتك . فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب ، ولم أعلم بمقصدها ، تقدّمتُ الى العجل وأخذت بيدي السكين .

فأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح ، فقالت لها أختها : ما أحسن حديثك واطيبَه ، والذّه ، وأعذبهُ ! فقالت لها : وأين هذا مما سأحدثكم به الليلة القابلة ، إن عشت وأبقاني الملك . فقال الملك في نفسه : والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

ثم إنهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح ، فخرج الملك الى محل حكمه ، وجاء الوزير بالكفن تحت إبطه . ثم حكم الملك وولّى وعزل الى آخر النهار ولم يأمر الوزير بشيء من ذلك . فتعجب الوزير غاية العجب ، وانفضّ الديوان ، ودخل الملك شهريار الى قصره .

الليلة الثانية

فقالت دنيازاد لأختها شهرزاد: ياأختي ، أتمي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني . قالت : حباً وكرامة إن أذن لي الملك . فقال الملك : تحدّثي فقالت :

بلغني أيها الملك السعيد ، والولي الرشيد ، أنه لما أراد أن يذبح العجل حنّ قلبه وقال للراعي : أبقِ هذا العجل بين البهائم . كل ذلك ، والشيخ يحدّث الجني والجني يتعجب من ذلك الكلام العجيب . قال صاحب الغزالة :

يا سيد ملوك الجان : كل ذلك جرى ، وابنة عمي ، هـذه الغزالة ، تنظرُ وترى وتقول : إذبح هـذا العجل فإنه سمين فلم يَهُنْ عليّ أن أذبحه وأمرتُ الراعي ان يأخـذه فأخذه وتوجّه به .

وفي اليوم الثاني ، بينما أناجالس ، إذا بالراعي مقبل عليّ وقال : يا سيدي : أقول لك شيئاً تُسرّ به ولي البشارة ؟ فقلت : نعم . فقال: أيها التاجر إن لي بنتاً ، وكانت قدتعلّمت السحرَ في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا . فلما كان الأمس وأعطيتني العجلَ ، قصدت إليها ، فنظرَتْ اليه بنتي ، وغطّت وجهها وبكتْ ثم انها ضحكت وقالت : يا أبتِ ، بُخسَ فدري عندك ، حتى أنك تُدخل عليّ الرجال الاجانب ؟ فقلت لها : وأين الرجال الاجانب ؟ ولماذا بكيتِ وضحكت ؟ فقالت لي : إن هـذا العجل الذي معك ابن استاذنا ، وهو مسحور ، وقد سحرته زوجة أبيه ، هو وأمه ، فهذا سبب ضحكي . وأما سبب بكائي فمن أجل أمه كيف ذبحها أبوه . فعجبتُ من ذلك غاية العجب ، وما أيقنت بطلوع الصباح ، حتى جئت اليك لأعلمك .

فلما سمعتُ أيها الجني هذا الكلامَ من الراعي خرجتُ معه ، وانا سكرانُ من غير مدام ، من كـثرة السرور الذي حصل لي الى ان أتيت داره ، فرحّبت بي ابنة الراعي وقبّلت يدي . ثم إن العجل جاء إليّ وتمرّغ عليّ فقلت لابنـة الراعي : أحقّ ما تقولين عن هذا العجل ؟ قالت : نعم يا سيدي إنه ابنك وحشاشة كبدك . فقلت لها : أيتها الصبيّة ، إن أنتِ خلّصتِه فلك عندي

ما تحت يد أبيك من المواشي والاموال . فتبسمتْ وقالت : ياسيدي ليس لي رغبـــة في المال الا بشرطين : الاول أن تزوّجني به . والثـــاني أن أسحِرَ من سَحَرَته وأحبسها وإلا فلست آمنة من مكرها .

فلما سمعْت ، أيها الجني ، كلام بنت الراعي قلت : ولك فوق ما طلبتِ جميع ما تحت يد أبيك من الانعـام والاموال . وأما بنت عمي فدَمُها لكِ مباح . فلما سمعت كلامي أخذت طاساً وملأته ماء . ثم إنهـا عزمت عليه ورشت به العجل وقالت له : ان كنت عجلًا ، وأنت على خِلقة الله تعالى ، دُم على هذه الصفة ، ولاتتغير ، وان كنت مسحوراً فعُد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى . واذا به انتفض وصار انساناً . فوقعتُ عليه وقلت له : بالله عليك حدّثني بمـــا صنعت بك ابنـــة عمي وبأمك ، فحدّثني بما جرى لهما . فقلت : يا ولدي ، قد بعث الله لك من خلصك وخلص حقك . ثم اني أيها الجني زوجت ابنة الراعي بولدي ، ثم انها سحرت ابنةَ عمي هذه الغزالةَ وقالت لي : هـــذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكرهها النظر .

ثم إن بنت الراعي أقامت عندنا أياماً وليـالي ، ولياليَ وأياماً حتى اختارها الله اليه ، وبعد ان تُوفيت سافر ابني الى بلاد الهنـد ، وهي بلاد هذا الرجل الذي جرى لك معه ما جرى . فعنـد ذلك أخذتُ الغزالةَ ، بنتَ عمي ، وسرت بها من بلد الى بلد ، أبصر خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا المكان ، ورأيت التاجر جالساً يبكي . وهذا حديثي . فقال الجني : هذا حديث عجيب ، وقـــد

وهبت لك ثلث دمه .

فعند ذلك تقدم الشيخ الثاني، صاحب الكلبين السلوقيين، وقال للجني : ان حدثتك بما جرى لي مع اخويّ هذين الكلبين ورأيت حديثي أغرب حكاية تهب لي ثلث دمه ؟ فقال له : ان كانت حكايتك اعجب واغرب، فلك ذلك . فقال له الشيخ :

حكاية الشيخ الثاني والكلبين السلوقيين

اعلم يا سيد ملوك الجان ان هذين الكلبين اخواي ، وأنا ثالثهم، ومات والدي وخلّف لنا ثلاثة آلاف دينار ، ففتحت أنا دكاناً أبيع فيه واشتري . وكذلك اخواي ، كل واحد فتح دكاناً ، فما قعدتُ كثيراً ، حتى باع أخي الكبير ، وهو احد هذين الكلبين ، متاع دكانه بالف دينار واشترى بضائع ومتجراً، وسافر ، فغاب عنا سنة كاملة .

وبينما انا يوماً في دكاني اذ وقف عليّ سائلٌ فقلت : يفتح الله لك ! فقال لي وقد بكى : ألا تعرفني ؟ فحققته فاذا بـه اخي ، فقمت ورحبت به، وذهبت به الى البيت، فسألته عن حاله فأجابني: لا تسأل لان المالَ مالَ ، والحالَ حالَ . فقمت وادخلته الحمام والبسته حُلة من ملابسي، واخذتـه الى داري . ثم كشفتُ حسابي وبيع دكاني فوجدت اني قد كسبت الف دينار ، ورأس مالي الف دينار . فقسّمت الربح بين اخي وبيني وقلت له : احسبْ انك ما سافرت ولا تغرّبت . فأخذ المال ، وهو فرحانُ ، وفتح دكانه . وقمت أياماً ولياليَ . ثم بعد ذلك، قام اخي الثـاني ، وهو الكلبُ

الآخر ، وباعَ ما كان عنده ، وجميع ما له ، وأراد السفر فمنعناه فلم يمتنع . فاشترى تجارة وسافر وغاب عنا سنة كاملة .

ثم إنه أتاني ، كما أتى أخوه الكبير من قبل ، فقلت له يا أخي ، أما نصحتك أن لا تسافر ؟ فبكى وقال : يا أخي هذا مقدّر . وها أنا فقير لا أملك الدرهم الفرد ، عُريانُ ما عليّ قميص . فأخذته أيها الجنيّ وأدخلته الحمّام والبسته ثوباً جديداً من ملابسي ، وجئت به إلى دكاني فأكلنا وشربنا ، وبعد ذلك قلت له يا أخي إني أعملُ حساب دكاني في كل رأس سنة مرةً والذي أراه زائداً هو بيني وبينك . فقمتُ ، أيها العفريت ، وعملت حساب دكاني ، فرأيت ألفي دينار ، فحمدت الباري ، سبحانه وتعالى . فأعطيت أخي الفاً وبقي معي الف . فقام أخي وفتح دكاناً وقعدنا جملة أيام . وبعد مدة قام عليّ أخواي وأرادا أن أسافر في صحبتهما ، فلم أفعل وقلت لهما : أي شيء كسبتما أنتما في سفركما حتى أكسب أنا ؟ فما سمعت منهما وأقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري ، وهما يعرضان عليّ السفر كلّ سنة ، وانا لا أرضى ، حتى مضت لنا ستّ سنين ، فانعمت عليهما بالسفر وقلت لهما : يا أخويّ ، ها أنا مسافر معكما ، ولكن هلمّ ننظر أيّ شيء معكما من المال ؟ فلم أجد معهما شيئاً بل بذّرا كل شيء لأنهما كانا عاكفين على الأكل والشرب والملذات . فما كلمتهما ولا قلت لهما شيئاً بل قمت وعملت حساب دكاني فوجدت معي ستة الاف دينار ، ففرحت وقمت فقسمتها نصفين وقلت لهما : هذه ثلاثة آلاف دينار لي ولكما لكي نتاجر بها . وقمتُ فدفنت الثلاثة الاف دينار الاخرى احتمالاً أن يجري عليّ ما جرى عليهما فأجيء وأجد ثلاثة

الاف دينار نفتح بها دكاكيننا . فارتضيا كلاهما ، فاعطيت كل واحد الف دينار وبقي لي مثلها الف دينار .

فتبضّعنا البضائع الواجبة وتجهزنا للسفر واكترينا مركباً ونقلنا اليه حوائجنا ، ثم سافرنا طوال شهر كامل .

فدخلنا مدينةً ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ، وأردنا ان نسافر فوجدنا على شاطيء البحر جارية عليها ثياب خَلَقَة (١) مقطّعة فقبّلتْ يدي وقالت : يا سيدي ، هل فيك حسنة ومعروف أجازيك عليهما ؟ قلت : نعم اني أحب الحسنة والمعروف وإن لم تجازيني . فقالت : يا سيدي ، تزوّجْني وخذني إلى بلادك ، فاني قد وهبت نفسي لك فافعل معي معروفاً . وأما أنا فممن يُفعَل معه المعروف والحسنة وأجازيك عليهما ولا يغرّنك حالي . فلما سمعت كلامها حنّ لها قلبي لأمر يريده الله ، عزّ وجلّ ، فاخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشاً حسناً واكرمتها ثم سافرنا .

أما أخواي فحسداني على مالي وكثرة بضاعتي وصارا يتحدثان في قتلي وأخذ مالي وقالا : نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا . وزّين لهما الشيطان أعمالهما وخلّياني . وبينما أنا نائم ، حملاني وزوجتي ورميانا في البحر ، فلما استيقظتْ زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني وأصعدتني الى جزيرة وغابت عني قليلاً وعادت عند الصباح وقالت : ها أنا جاريتك ، أنا الذي حملتك ونجّيتك من القتل باذن

---

(١) خلقة : بالية .

الله تعالى . واعلم أني جنيّة رأيتك فأحبّك قلبي لله . وأنا مؤمنة بالله ورسوله فجئتك بالذي رأيتني فيه ، فتزوجت بي ، وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبتُ على أخويك ولا بد ان اقتلهما .

فلما سمعتُ حكايتها تعجّبت وشكرتها على فعلها وقلت لها : اما هلاك أخويّ فلا . ثم قصصت ما جرى لي معهما من اول الزمان الى آخره . فلما عرَفتْ حقيقة أمري قالت : أنا في هذه الليلة أطير اليهما وأغرق مركبهما وأهلكهما . فقلت لها : بالله عليك لا تفعلي فأن المثل يقول : يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله . وهما أخواي على كل حال . قالت : والله لا بدّ لي من قتلهما فتوسلتُ إليها فيهما .

ثم إنها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحتُ الابواب وأخرجت الذي خبأته تحت الأرض وفتحت دكاني بعد أن سلمت على الناس وأشتريت بضائع .

فلما كان العشاء رجعت الى بيتي فوجدت هذين الكلبين مربوطين في داري . فلما رأياني قاما اليّ وبكيا وتعلقا بي فلم أشعر إلا وزوجتي قالت : هذان اخواك . فقلت : ومن فعل بهما هذا الفعل ؟ قالت : أنا أرسلت إلى أختي ففعلت بهما ذلك وما يتخلصان الا بعد عشر سنوات . فجئت ، وانا سائرٌ إليها لتخلصهما بعد إقامتهما عشر سنوات في هذه الحال . فرأيتُ هذا الرجل فأخبرني بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه ، وهذه قصتي . فقال الجني : إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمِهِ وجنايته .

قال الشيخ الثالث صاحب البغلة: أنا اقصّ عليك حكاية أعجب من هاتين وتهب لي باقي دمه وجنايته أيها الجني ؟ قال : نعم . قال الشيخ : ايها السلطان ورئيس الجان ، إن هذه البغلة كانت زوجتي فسافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت إليها ، وكانت فاسقة ، فلما رأتني عجّلت وقامت إليّ بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت : أخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرتُ في الحال كلباً ، فطردتني من البيت . فخرجت من الباب ولم أزل أسيرُ حتى وصلت الى دكان جزّار ، فتقدمت وصرت آكل من العظام . فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته . فلما رأتني بنت الجزار غطّت وجهها مني وقالت : تجيء لنا برجل وتدخل به علينا ؟ فقال أبوها : أين الرجل ؟ قالت : هذا الكلب سحرته امرأته وأنا أقدر ان أخلصه . فلما سمع أبوها كلامها قال : بالله عليك يا ابنتي خلصيه !

فأخذت كوزاً فيه ماء وتكلمت عليه ورشت عليّ منه قليلا وقالت : أخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فعدتُ الى صورتي الاولى فقبّلت يدها وقلت لها : أريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني ،فأعطتني قليلًا من الماء وقالت : اذا رأيتها نائمة رُشّ هذا الماء عليها وتكلم معها بأيّ كلام أردته فانها تتحول الى ما انت طالب . فأخذت الماء وذهبتُ الى زوجتي فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت : أخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة . فصارت في الحال بغلة ، وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان . فقال لها : أصحيح ؟ فهزّت رأسها وقالت

بالاشارة تعني : اي والله هذا حديثي وما جرى لي . فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه .

فأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : يا أختي ، ما أحلى حديثك وأطيبه والذّه وأعـــذبه ! فقالت : وأين هذا مما سأحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك . فقال الملك : لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب . ثم باتوا تلك الليـلة الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه وخرج العسكر والوزير واحتبك الديوان ، فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ، فانفضّ الديوان فدخل الملك شهريار الى قصره .

الليلة الثالثة

فلمـا أقبل الليل قالت دنيازاد لأختها شهرزاد : يا أختي ، أتمي لنا حديثكِ . فقالت : حباً وكرامة . بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الثالث روى للجني حـكاية اغرب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب ، واهتزّ من الطرب ، وقال : قد وهبت لك باقي جنايته وأطلقته لكم . فأقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنأوه بالسلامة ، ورجع كل واحد الى بلده .

حكاية الصياد والمارد *

•

قالت شهر زاد :بلغني أيها الملك السعيد أن صيّاداً فقيراً طاعناً في السن كان له زوجة وثلاثـــة أولاد . وكان من عادته أن يرمي شبكته أربع مرات كل يوم .

فخرج يوماً من الأيام فألقى شبكته في البحر وأخذ ينتظر إلى أن استقرت في الماء . وجمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبهـــا فلم يقدِرْ على ذلك . فأسرع الى الشاطىء ودقّ وتداً وربطها بـــه وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالجها حتى أخرجها بعد عناء شديد .

ولكن ...

ولم يطل فرح الصياد لأنه ما كاد يخرج بشبكته ويفتش عن صيده حتى وجـــد فيها ... حماراً ميتاً وقد خرّق الشبكة . فحزن لذلك حزناً شديداً وأنشد يقول :

---

* ملخصة بتصرف .

يا خائضاً في ظلام الليـل والهَلَكَه
اقصِر عناك فليس الرزق بالحركه
أمـــا ترى البحر والصياد منتصباً
لرزقـــه ونجوم الليل محتبكه
قد خاض في وسطه والموجُ يلطمه
وعينُهُ لم تزل في كلكل الشبكه
حـتى إذا بات مسروراً بليلتـــه
بالحوت قد شكّ سفّودُ الرّدى حنكه
ابتاعـــه منه من قد بات ليلتـــه
خلواً من البرد في خير من البركه
سبحانَ ربيَ يُعطي ذا ويحرم ذا
هذا يصيد وهذا يأكل السمكه !

ثم إن الصياد خلّص الحمار من شبكته وعصرها ونشرها ثم رماها في البحر ثانية وهو يقول : باسم الله . وصبر عليها حـتى استقرت فثقلت أكثر من المرّة الأولى فظنّ أنـــه سمك فربط الشبكة وأخذ يعالجها الى أن خلّصها الى البرّ فوجد فيها زيراً [1] كبيراً وهو ملآن رملاً وطيناً . فتأسف أشدّ الأسف وأنشد يقول :

يا حُرقة الدهر كُفّي ان لم تكفي فعفي
خرجت اطلب رزقي وجدت رزقي تُوفي

(١) الزير : القدر .

كم جاهلٍ في الثريا وعالمٍ متخفّي !

ثم إنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد الى البحر للمرة الثالثة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شَقفاً وقوارير وعظاماً . فاغتاظ جداً وبكى وأنشد يقول :

هو الرزقُ لا حِلٌ لديك ولا ربطُ
ولا أدبٌ يعطيك رزقاً ولا خطُ
ولا الحظُ والأرزاق إلا مقسّمٌ
فأرضٌ بها خِصب وأرض بها قحطُ

*

فلا عجباً ان كنت عاينت فاضلاً
فقيراً وذا نقصٍ بدولتـــه يسطو
فطيرٌ يطوف الأرض شرقاً ومغرباً
وآخر يُعطى الطيبـات ولا يخطو

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهمّ ارزقني هـــذه المرة برزقي ، ورمى الشبكة بعـــد أن سمّى الله وصبر الى أن استقرّت وجذبها فاذا بها ثقيلة جداً ، فعالجها حتى أخرجها الى البرّ وفتحها ، فاذا فيها قُمقمٌ من نحاس أصفر وفمه مختوم برصاص عليه خاتمُ النبي سليمان بن داود .

الطارد الجبار

ففرح الصياد بهذا القُمقم وقال : ابيعُـــه في سوق النحاس

بعشرة دنانير ذهبـــاً . ثم انه حركه فوجده ثقيلاً وهو مسدود فقال في نفسه : يا تُرى أيّ شيء في هذا القمقم !؟ لعلّ فيه كنزاً ثميناً ! فلأفتحه . وأخرج سكيناً وعالج الرصاص ففكه من القمقم وحطه الى جانب الأرض فعجب اذ رأى دخاناً يتصاعد من القمقم

المارد الجبار

الى عنان السماء ويزحف على الارض ويتحوّل الى عفريت رأسه في السحاب ورجـــلاه في التراب ، وله أيدٍ كالمذاري ، ورجلان كالسواري ، و كالمغارة ، و سنان كالحجارة ، ومناخير كالأبريق ، وعينان كالسراجين ، أعبس ، أنحس .

فارتعدت فرائص الصياد من رؤية هذا العفريت وجفّ ريقه وعمي عن طريقه . فلما رآه العفريت قال :

لا إله إلاّ الله ، سليمان نبيّ الله !

ثم تضرّع العفريت وقال : يا نبي الله لا تقتلني فاني لن أخالف لك قولاً ولن أعصي لك أمراً .

فقال له الصياد :

ايـــا المارد : تقول سليمان نبيُ الله ، وسليمان مات منذ الف وثمانمائة سنة ، فما قصتك وما سبب دخولك في هذا القمقم ؟

المارد سجين

فلما سمِعَ المارد كلام الصياد قال :

لا إله الا الله ! أبشر أيها الصياد .

– وبماذا تبشّرني ايها المارد ؟

– بقتلك في هذه الساعة شرّ قتلة !

– بعدمك العافية ، ما هذا الكلام ؟ لأي شيء تقتلني وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر ؟

– تمنّ أي ميتة تريد ان تموتها . هذا كل ما أمنحك إياه !

فقال الصياد : ولكن ألا تحدثني عن ذنبي حتى يكون هذا

جزائي منك ؟

قال العفريت : إسمع حكايتي ايها الصياد :

إعلم اني كنت من الجنّ المارقين وقد عصيت النبي سليمان أنا وصخر الجني ، فارسل وزيره آصف بن برخيا فأتى بي كرهاً وقادني ذليلاً حتى اوقفني بين يديه . فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض

الملك سليمان

عليّ الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت ، فدعا بهـذا القمقم وحبسني فيه وختم عليّ بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فحملوني والقوني في وسط البحر ... فأقمت مئة عام ، فقلت : كل من خلصني أغنيته الى الابد . فمرّت مئة عام ولم يخلصني احد . ثم مرّت مئة عام اخرى فقلت : كل من خلصني فتحت له كنوز الارض ، فلم يخلصني احد . فمرت بي اربعمائة سنة اخرى فقلت : كل من يخلصني قضيت له ثلاث حاجات ، فلم يخلصني احد . فغضبت غضباً شديداً وقلت في نفسي : كل من خلصني قتلته بلا شفقة ،

ومنّيته كيف يموت . وها انت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت. فاختر الميتة التي تشاء .

فاجابه الصياد :

أعفُ عني ايها المارد، يعفُ اللهعن قتلكولا تُهلكني لئلا يسلط الله عليك من يهلكك . فقال المارد : لا بدّ من قتلك فتمنّ عليّ أيّ ميتة تموتها ؟

— الا تعفو عني جزاء إنقاذي إياك ؟

— ولكني سأقتلك لأنك أنقذتني .

فقال له الصياد : يا شيخ العفاريت ، هل أصنع معك مليحاً فتعاملني بالقبيح ؟ لم يكذب المثل حيث قال :

فعلنا جميلًا قابلونا بضده وهذا لعمري من فِعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير اهله يجازى كما جُوزِي بجير ام عامرِ

— لا تُطل فلا بدّ من موتك .

فقال الصياد في ذات نفسه: هذا جنّي، وأنا إنسيّ وقد أعطاني الله عقلًا كاملًا فهل أدعه يقتلني ؟ ثم قال للعفريت :

— هل صممت على قتلي ؟

— نعم .

فقال الصياد : بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود أسألك عن شيء فأرجو أن تصدقني فيه .

فاضطرب العفريت لسماع الاسم الاعظم، وقال له :سل وأوجز.

فقال له : انت كنت في هذا القمقم ، والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك ؟ فقال له العفريت :

انت لا تصدق أنني كنت فيه ؟

فقال الصياد :

لا أصدقك ابداً حتى أنظرك فيه بعيني !

حينئـــذ انتفض العفريت وصار دخاناً ، واجتمع ، ودخل القمقمَ قليلًا ، قليلًا . فأسرع الصياد الى قطعة الرصاص المختومـة وطبعها على فم القمقم ونادى العفريت قائلًا :

– تمنّ عليّ الآن بدورك أية ميتة تريد أن تموتها ؟

لأرمينك في هذا البحر ، ولأبنين لي هنا بيتاً ، وكل من أتى الى هذا الشاطىء منعته من الاصطياد قائلاً له: ها هنا عفريت مَنْ أخرجه قتله .

فلما رأى المارد نفسه محبوساً اراد الخروج فمنعـه خاتم سليمان وعلم أنه وقع في حيلة الصياد فقال له :

انا كنت أمزح معك ! فقال الصياد :

إنك تكذب يا احقر العفاريت واقذرها وأصغرها . ثم خرج بالقمقم الى البحر فقال المارد : وماذا تريد ان تصنع بي ؟

فقال : سألقيك في البحر فان كنت قد أقمت فيه الفاً وثمانمائة سنة فأنا أجعلك تمكث فيه الى ان تقوم الساعة .

أما قلت لك : أبقني يُبقِكَ الله ، ولا تقتلني لا يقتلك الله ؟ فأبيت الا ان تغدر بي فرماك الله في يدي ، فغدرت بك .

قال العفريت : لئن أنقذتني هذه المرة فاني سأحسن اليك أعظم الأحسان .

قال الصيـاد : كذبت يا ملعون ، بل سيكون مَثَلي ومثلك

كمثل وزير الملك يونان والحكيم دوبان .

قال العفريت : ومن هو وزير الملك يونان والحكيم دوبان ، وما قصتهما ؟

فقال الصياد : إنها لقصة عجيبة وهاك وقائعها :

حكاية وزير الملك يونان

كان في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك يُدعى يونان . وكان ذا مالٍ وجنود ، وهيبة واعوان . وكان في جسده برصٌ وقد أعيى الاطباء فلم ينفعه منهم شرب أدوية .

وجاء الى عاصمة هذا الملك حكيم طاعن في السن يقال له الحكيم دوبان . وكان ذا شهرة واسعة ومعرفة كبيرة إذ حاز جميع العلوم الطبيـــة .

فلما عرف هذا الحكيم بمرض الملك يونان أحب شفاءه فدخل عـــلى الملك وقبّل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم فقال : بلغني ايهـــا الملك العظيم ما اعتراك من داء وعلمت ان الاطباء الذين عالجوك قد عجزوا عن شفائك وأنا سأشفيك دون ان اسقيك دواء او ادهنك بدهن .

فسرّ به الملك وقال له :

إن ابرأتني لأنعمنّ عليك وعلى اولادك واحفادك من بعـدك ولاجعلنّك نديمي وحبيبي . ومتى يكون ذلك ايها الحكيم ؟

ـ غداً ان شاء الله !

ومضى الحكيم دوبان الى بيته فاختـــار اصنافاً متعددة من

ادويته وعقاقيره وجعل منها صولجاناً وجوّفه وعمل له قبضة وكرة وجاء الى الملك في اليوم الثاني وناوله الصولجان وقال له :

خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هـذه القبضة وامشِ في الميدان واضرب الكرة حتى تعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك ، ثم عُدْ الى قصرك وادخل الحمام

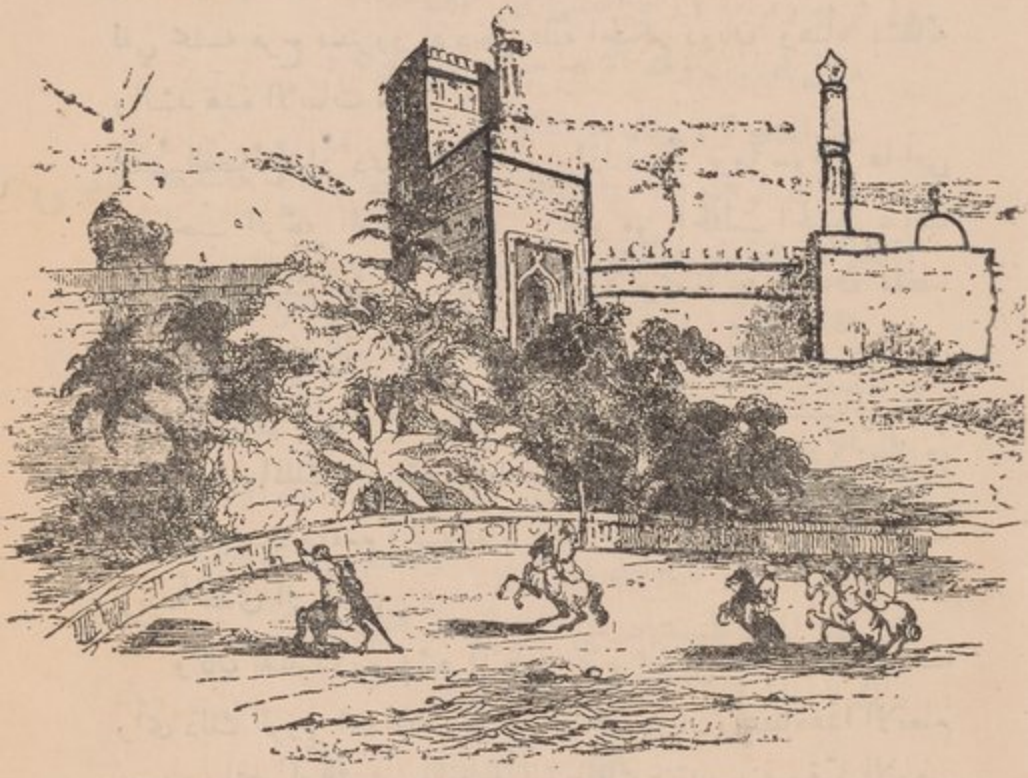

الملك في السرادق يحمل الرمح

واغتسل ونم فتنهض من فراشك بريئاً والسلام .

المعجزة :

فعند ذلك اخذ الملك يونان الصولجان من الحكيم وذهب الى

الميدان وركب جواده ورمى الكرة امامه وجرى خلفها حتى لحقها وضربها بقوة ، وما زال يضرب الكرة ويسوق جواده خلفهـــا ويضربها من جديد ، حتى عرقت كفه وسرى الدواء منها في جسده فعاد الى القصر فاغتسل ونام . فلما اصبح الصباح هرع الى الحمـام واغتسل ثم نظر الى جسده فاذا ليس للبرص فيـه من اثر . وانه لفي مجلسه فرح مسرور إذ دخل عليه الحكيم دوبان وهنأه بشفائه وانشد هذه الابيات مترنماً :

سَمَتْ الفَضَائِلُ إذْ دُعِيْتُ لها أبَا ... واذا دَعَتْ يوماً سواكَ لها أبى
يا صاحبَ الوَجْهِ الذي انوارُه ... تمحو من الخَطْبِ الجسيمِ غَيَاهِبَا
ما زالَ وجْهكَ مُشْرِقاً مُتَهلِّلا ... كي لا نرى وجه الزمان مقطبا
اوليتني من فضلك المنن التي ... فعلت بنا فعل السحاب مع الرُبى
وصرفت جل المال في طلب العلا ... حتى بلغتَ من المعـــالي مأربا

فنهض الملك واعتنقه واجلسه بجانبه وخلع عليه الخِلَعَ السَنِيّة اعترافاً بجميله وتقديراً لنبوغه ، وقد عزم ان يجعـــلَ منه جليساً ونديماً مدى الزمان .

وكان للملك وزير بشع المنظر ، لئيم ، بخيل ، حسود . فلمـــا رأى ذلك الوزير ان الملك قرّب الحكيم دوبان واعطاه هذا الانعام حسده واضمر له الشر . وانفرد مرة بالملك فتقدم منه وقبّل الارض بين يديه وقال له :

يا ملك العصر ، لقد نشأت في احسانك ، ولك عنـدي نصيحة عظيمة ، فان اخفيتها عنك كنت خائناً . فأن امرتني ان ابديهـــا أبديتها لك .

فقال الملك وقد ازعجه كلام الوزير :

وما نصيحتك ؟

فقال : أيها الملك الجليل ، قالت القـــدماء : من لم ينظر في العواقب ، فما الدهر له بصاحب . وقد رأيت الملك على غير جواب اذ أنعم على عدوّه الذي يرجو له زوال ملكه ، وقد أحسن اليه ، واكرمه وقرّبه ، وأنا أخشى على الملك منه .

فقال له الملك وقد انزعج منه وتغيّر لونه :

من الذي تزعم والى من تشير ؟

قال له الوزير : يا أيها الملك ، ان كنت نائماً فاستيقظ فاني أتكلم عن الحكيم دوبان .

فقال الملك : ويلك ، هذا صديقي ، وهو أعز الناس عندي ، لأنه شفاني من مرضي الذي عجزت عنه الاطباء، وهوحكيم لا يجود بمثله الزمان . لقد أجريت عليه في كل شهر الف دينار ولو قاسمته ملكي لكان قليلا ، وما أظنّ أنك تقول ذلك الا حسداً . ولو كان يريد قتلي لما شفاني من دائي ، وأخشى إن انا قتلته ان أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البـاز فقال الوزير : وكيف كان ذلك يا ملك الزمان ؟

حكاية الملك السندباد

قال الملك :

حُكيَ ان ملكاً من ملوك الفرس كان يحب التنزه والصيـد . وكان له بازٌ لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً . وكان اذا خرج الى الصيد

يأخذه معه ، وصنع له إناءً من الذهب علقه في رقبته ليسقيه منه .

وبينما الملك جالس ذات يوم إذا بامير الرخة يقول : يا ملك الزمان ، هذا أوان الخروج الى الصيد . فأمر الملك بالخروج وأخذ الباز على يده وساروا جميعاً الى ان وصلوا الى واد ، فضربوا فيه حلقة الصيد ، واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد . فقال الملك: كل من وثبت الغزالة من فوق رأسه ونجت ، قتلته . فضيّقوا عليها حلقة الصيد . فدنت الغزالة من الملك فوقفت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تريد تقبيل الارض امام الملك ، فطأطأ لها ، واذا بها تثب من فوق رأسه وتنطلق هاربة .

فالتفت الملك الى رجاله فوجدهم يتغامزون ، فقال لوزيره: ماذا يقول هؤلاء ؟

فقال : يقولون إنك هدّدت بالقتل كل من تقفز الغزالة من فوق رأسه .

فقال الملك : والله لأتبعنها حتى أجيء بها .

وجرى الملك وراء الغزالة ولم يزل يتبعها حتى وصلت الى جبل من الجبال فأرادت ان تعبر اليه فاطلق الباز وراءها ، فاخذ يلطمها في عينيها الى ان اعماها ودوّخها . فضربها الملك بدبوس فقتلها ، ثم ذبحها وسلخها وعلقها بسرج جواده .

وكان الحر شديداً والغابة مقفرة لا يوجد فيها ماء . فعطش الملك وعطش الحصان ، ورأى الملك شجرة تتساقط منها قطرات من الماء . فأخذ الملك الطاس من رقبة الباز وملأه من ذلك الماء وادناه من فمه ليشرب ، واذا بالباز يلطم الطاس فيقلبه . فأخذ

الملك الطاس ثانياً وملأه من ذلك الماء وقدّمه من البـاز ليشرب فلطمه الباز مرةً اخرى . فانقبض الملك من الباز وقام للمرة الثالثة فملأ الطاس ماء وقدمه للحصان فقلبه الباز بجناحه . فقال له الملك :

« يا أشأم الطيـور حرمتني الشرب وحرمت نفسك وحرمت الحصان ! » وضربه بسيفه فرمى جناحيه . وأخذ الطاس ليملأه من جديد . واذا بالبـاز يصرخ ويشير برأسه الى أعلى الشجرة ، فرفع الملك بصره ، فرأى فوق الشجرة حيـة كبيرة يسيل سمّها ، واذا الماء الذي يملأ منه الطاس قطرات من السمّ .

فعرف عند ذاك لماذا منعه البـاز من شرب الماء ، وندم على ضربه وقصّ جناحيه ، وعاد بالغزالة الى القصر فأعطاهـا للطبّاخ ليشويها . ولم يكد يستقر في مكانه حتى انتفض الباز ومات .

فبكى الملك حزناً عليه لانه قتله ظلماً وقد خلصه من الهلاك .

حكاية الوزير المحتال

فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له : انني قلت ما قلتـه شفقةً عليك فان عملت به انقذت حياتك والاهلكت كما هلك وزير كان قد احتال على ابن ملك من الملوك .

قال الملك يونان : ومن هو هذا الرجل ، وكيف كان ذلك ؟

قال الوزير :

كان لبعض الملوك ولدٌ مولعٌ بالصيد والقنص ، وكان معـه وزير لأبيه قد أمره بأن يكون معه أينما توجـه . فخرج الولد مع الوزير يوماً من الايام ، الى الصيد ، فظهر لهما وحش كبير فقال

الوزير لابن الملك : دونك الوحش فاطلبه ، فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين ، وغاب عنه الوحش في البرية . وتحير الفتى ، وضلّ عن الطريق ، وصار الى برّية مقفرة لا يهتـــدي المرء فيها الى سبيل .

وفجأة رأى جارية تبكي فقال لها : من انت ؟ فقالت : انا ابنة احد ملوك الهند ، وقد كنت في هذه البرية مع اهلي وجنـــدي فادركني النعاس فوقعت من على دابتي ، ولم انتبـــه من نومي ، فصرت منقطعة حائرة . فرثى لحالها وحملها على ظهر دابتـه وسار حتى مرّ بخربة فقالت له الجارية :

هلمّ ننزل فنرتاح هنا بعض الراحة .

فترجلا وجلسا قليلاً ثم اختفت بين الانقاض ، فتبعها ليبحث عنها فوجد غولة شنيعة الهيئة تقول لاولادها : يا اولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين . فقالوا لها : إئتنا به يا أمنا حتى نرعاه في بطوننا . فلما سمع الفتى كلامهم أيقن بالهلاك ، وخشي على نفسه ورجع . فرجعت الغولة فرأته خائفاً ، وجلاً وهو يرتعد ، فقالت له :

ما بالك خائفاً ؟

فقال لها : إن لي عدواً وأنا خائف منه .

فقالت الغولة : إنك تدّعي أنك ابن ملك فلماذا لا تدفـــع لعدوّك شيئاً من المال ترضيه به ؟

فقال لها : إنه لا يرضى إلا بالروح ، وأنا خائف منـــه ، وأنا مظـــلوم .

فقالت : ان كنت مظلوماً فاستعن عليه بالله فانـــه يكفيك

شره ! فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال : يا من يجيب المضطر اذا دعاه، ويكشف عنه السّوء اللهمّ انصرني على عدوي، واصرفه عني ، انك على ما تشاء قدير .

فلم يكد يتم دعاءه حتى اختفت الغولة عن نظره ، فانصرف عندئذ الى أبيه وحدّثه بحديث الوزير المحتال ، فأمر الملك بقتله في الحال .

وانت ايها الملك إن امّنت لهذا الحكيم قتلك شرّ القتلات. لقد شفاك من مرضك بشيء امسكته بيدك ايضاً . فقال الملك يونان : صدقت ايها الوزير الناصح . ان هذا الحكيم جاسوس يطلب هلاكي ، وما دام قد شفاني بشيء امسكته بيدي فهو يقدر ان يهلكني بشيء أشمّه . فكيف العمل ؟

قال الوزير : ارسِلْ في طلبه الآن ومتى حضر اضرب عنقه فتُكفى شرّه ، واغدر به قبل أن يغدر بك .

فقال الملك : صدقت ايها الوزير .

وارسل الملك الى الحكيم ليحضر فحضر في الحال وهو فرحان، لا يعلم ما قدّر الرحمن له ، فلما دخل على الملك أنشده قائلا :

كن عن همومك معرضا ... وكِلِ الامورَ الى القضا
أبشِر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى
فلربّ أمر متعب ... لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرّضا

فقال له الملك : أتعلم لماذا أحضرتك ؟

فقال له الحكيم : لا يعلم الغيب الا الله تعالى .

قال : أحضرتك لأقتلك وأزهق روحك .

فتعجب الحكيم من تلك المقالة غاية العجب وقال :

أيها الملك ، لماذا تقتلني وايّ ذنبٍ بدا مني ؟ فقال الملك : قد قيل لي إنك جاسوس وقد أتيت تقتلني ، وها أنا أقتلك قبل أن تقتلني . ثم ان الملك أمر السيّاف بأن يضرب رقبة هذا الغدّار فصاح الحكيم قائلاً أبقني ايها الملك يبقك الله ، ولا تقتلني لئلا يقتلك الله !

فقال الملك : اني لا آمن على نفسي الا اذا قتلتك ، فأنك ابرأتني بشيء امسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيء أشمّه .

فقال الحكيم :أهذا جزائي منك ايها الملك تقابل المليح بالقبيح؟

فأصر الملك على عزمه قائلا : لا بدّ من قتلك !

فقال الحكيم ، وقد ايقن بهلاكه : أمهلني حتى انزل الى داري وأوصي اهلي وجيراني ان يدفنوني وأبرىء ذمتي واهب كتبي لمن ينتفع بها وينفع الناس ، ولك عليّ ان اهديك أثمن كتبي وهو كتاب « خاص الخاص » لتضعه في خزانة كتبك .

قال الملك : وماذا يحتوي هذا الكتاب ؟

قال الحكيم : فيه فوائد لا تحصى ، وأقل ما فيه من الاسرار أنك إذا قطعت رأسي وفتحت ثلاث ورقات وقرأت ثلاثة أسطر من الصفحة التي على يسارك فان الرأس يكلمك ، ويجيبك عن كل ما تسأله .

فتعجب الملك ، غاية العجب ، واهتزّ من الطرب وقال له :

أيها الحكيم ! أحقّ ما تقول ؟ اتكلمني بعد ان اقطع رأسك ؟

قال : نعم أيها الملك . ثم أرسله الملك مخفوراً الى داره فقضى أعماله وعاد ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور ، فرش الذرور على طبق وقال للملك : خـــذ هذا الكتاب ولا تفتحه حتى تقطع رأسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق فوق الذرور يكفّ دمه عن النزيف ثم افتح الكتاب كما ذكرت لك .

مصرع الباغي وفهم :

فأخذ الملك الكتاب منه وأمر بضرب عنقه ، فأطاح الجـــلاد رأسه في وسط الطبق وجعله فوق الذرور فانقطع دمه وإذا بذلك الرأس المفصول عن جسده يفتح عينيه ويقول للملك :

افتح الكتاب أيها الملك.. فدهش الملك وبادر الى فتح الكتاب فوجد صفحاته بعضها لاصق ببعض ، فأخـــذ يفتحها بعد أن يلمس شفته باصبعه وهي لا تنفتح الا بجهـد حتى فتح ست أوراق ونظر فيها فلم يجد كتابة ، فالتفت الى الرأس المقطوع وقال له :

ايها الحكيم ، ليس في هذا الكتاب كتابة ما !

فتكلم الرأس المقطوع وقال :

كم صفحة قلبت ؟

أجاب الملك : ست صفحات .

قال الرأس : إفتح ثلاثاً أخر . ففتح ثلاثاً أخر وما كاد يفعل حتى سرى فيه السمّ لساعته . لان الكتاب كان مسموماً . فأدرك الملك المكيدة التي دبرها له الرجل الحكيم وصاح قائلاً :

لقد سرى فيّ السم ، لقد قتلني الحكيم دوبان .

ما الرأس المقطوع فقد أنشد :

الرأس المقطوع

تحكّموا واستطالوا في تحكّمهم
وعن قليل كأنّ الحكم لم يكن
لو أنصَفوا أنصِفوا لكن بغوا فبغى
عليهمُ الدهر بالآفـــات والمحنِ
وأصبحوا ولسان الحـــال ينشدهم
هـذا بذاك ولا عتب على الزمن .

ولم يكد يفرغ الرأس من هذا الكلام حتى سقط الملك ميتاً .. فاعلم ايها العفريت لو أبقى الملك يونان الحكيم دوبان حياً لابقاه الله ، ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله . وأنت ايهـــا العفريت لو أبقيتني لابقاك الله ....

كليلة ودمنة

١ ـ مثل الناسك والفارة .

٢ ـ مثل الناسك وجرة السمن والعسل .

٣ـ مثل الأسد والذئب والغراب وابن آوى والجمل.

كليلة ودمنة

•

١ ـ أصله

يُرجع العلماء أصل هذا الكتاب الى الهند . وهناك اعتقادٌ في أنّ ابن المقفّع ليس هو مترجم كليلة ودمنة عن الفارسية بل هو الذي وضعه . ولكنّه اعتقادٌ ضعّفه علماء كثيرون .

٢ ـ تعريبه

ناقل كتاب كليلة ودمنة الى اللغة العربية هو ابن المقفع الكاتب العربي العباسي ، الفارسي الاصل ، الذي عاصر الخليفة المنصور .

٣ ـ تسميته

سُمّي « بكتاب كليلة ودمنة » وهما اسمان لابني آوى وعليهما يدور محور الكلام في الكتاب .

٤ ـ شهرته

من أشهر الكتب العالمية . ولقد ترجم الى لغاتٍ عديدة

نذكر لك منها ما يلي :

الترجمة التبتيّة والفهلوية والسريانيّة والعربية الاولى والثانية . وعن اللغة العربية ترجم الى السريانية ثانية ، واليونانيـة والعبرانية أولا وثانياً واللاتينية والاسبانية والانكليزية والروسية وغيرهـا من اللغات الحية حتى بلغ عدد الترجمات بضعاً وعشرين ترجمة ترجع كلها الى الترجمة العربية التي اخترنا منها بعض الحكايات .

٥ ـ تأثير كليلة ودمنة في الادب القصصي

كان لهذا الكتاب أثره الأدبي الفعال في كثـــيرين من الأدباء الأقدمين والمحدثين فنظمه شعرًا كلٌ من ابن سهل بن نوبخت وابن أبان بن عبدالحميد اللاحقي ، وعلي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر ، وابن بشر بن المعتمر ، وابن الهبّارية ، وابن المهاتي ، وعبد المؤمن بن الحسن ، وجلال الدين النقّاس .

ونسج على منواله كثيرون من الكتّاب فالفوا كتباً عديدة تجمع الشيء الكثير من المُلَح والروايات الأدبية والحكايات على ألسنة الحيوانات نذكر منهم :

ابن الهبّاريّة وله كتاب الصّادح والباغم .

إبن ظفر وله كتاب سلوان المطاع في عدوان الطّباع .

ابن عربشاه وله فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء .

أبا العلاء المعري وله كتاب القائف .

ولم يقف كتاب كليلة ودمنة بتأثيره عنـــد الادباء العرب بل تعـــدّاهم إلى أدباء الأمم الأجنبية فنظمه شعراً فارسياً أبو جعفر

الرّودكي وهو من أعاظم الشعراء الفرس في القرن الرابع الهجري. كما أن الشاعر الظريف لافونتين الفرنسي قد تأثر به ، إلى حد بعيد في حكاياته الشعرية . وهناك كثيرون من أدباء الغرب المحدثين بين فرنسيين وانكليز اطلعوا عـــلى كتاب كليلة ودمنه وافادوا منه الشيء الكثير .

وأخيراً نستطيع القول إن كليلة ودمنة ، بما فيه من حكايات قصيرة على السنة الحيوانات ، قد أدخل لوناً جديداً عـلى الأدب العربي لم يكن لهذا الأدب عهدٌ به من قبل . وهو بحق يحتوي على « حكمة الهند ، وجهد الفرس ، ولغة العرب » كما صرّح الدكتور طه حسين .

واليك أيها الطالب بعض حكاياته التي يجب ان تقرأها بقلبٍ مدرك ، وعقل واع لا أن تؤخذ بمظاهرها الخارجية وتكتفي منها بالعنصر القصصي ، بل يجب أن تسبُرَ غورها وتتعمق في فهم الغاية التي ترمي إليها فتفيد منها لغةً مُشرقة ، وادباً عاليـــاً ، وحكمة صحيحة .

مثل الناسك والفأرة

•

زعموا أن ناسكاً كان مستجاب الدعوة ، فبينما هو ذات يوم قاعد على شاطيء نهر اذ مرت به حِدَأة [1] في رجلها دَرصة [2] فوقعت منها عند الناسك . فادركه لها رحمة ، فأخذها ولفها في ردنه [3] وأراد أن يذهب بها الى منزله . ثم خاف ان يشق على امرأته تربيتها ، فدعا ربه ان يحولها جارية . فتحولت جارية واعطيت حُسناً وجمالا . فانطلق بها الناسك الى منزله ، وقال لامرأته : هذه ابنتي فاصنعي بها صنيعك بولدك . ورباها احسن التربية ، ولم يُعلمها قصتها وما كان منها .

فلما بلغت اثنتي عشرة سنة قال لها : يا بنيّة ! انك قد ادركت ، ولا بد لك من زوج يقوم بامرك ويكفلك ، ولنفرغ من الشغل بك . فاختاري من أحببت من الناس كلهم ازوّجْك منه . قالت الجارية : اريد زوجاً قوياً شديداً منيعاً . فقال الناسك : ما اعرف

---

(١) الحدأة : طائر يصطاد الجرذان وهو الشوحة

(٢) الدرصة : الفارة . (٣) الردن : أصل الكم .

احداً كذلك إلا الشمس .

فانطلق الناسك الى الشمس فقال لها : ان عندي جارية جميلة ، وهي بمنزلة الولد لي ، وانا أسألك ان تتزوجيها . فقالت الشمس : انا أدلك على من هو اقوى مني وأشد . قال الناسك : ومن هو ؟ قالت السحاب الذي يسترني ويذهب بضوئي. فأتى الناسك السحابَ فسأله تزوّج الجارية . فقال انا أدلك على من هو أقوى مني وأشد : الريح التي تُقبل بي وتُدبر . فانصرف الناسك الى الريح فسألها تزوّج الجارية ، فقالت له : انا أدلك على من هو اقوى مني : الجبل الذي لا استطيع ان احركه . فانطلق الناسك الى الجبل فقال له مثل مقالته للريح . فقال له الجبل : انا ادلك على من هو أقوى مني : الجُرَذ الذي ينقبني فلا استطيع له حيلة ولا امتنع منه. فقال الناسك للجرذ : هل انت متزوج هذه الجارية ؟ فقال الجرذ : كيف اتزوجها وجحري[1] ضيق . فقال الناسك للجارية : هل لك أن ادعو ربي ان يصيّرك فأرة وازوجك بالجرذ ؟ فرضيت بذلك . فدعا ربه ان يحولها فأرة ، فتحولت فأرة وتزوجها الجرذ .

فهذا مَثلك أيها المخادع ، في العَود الى اصلك !

---

(١) الجحر : الوكر .

مثل الناسك وجرة السمن والعسل

●

زعموا ان ناسكاً كان يجري عليه من بيت رجل من النُجّار، رزق من السويق[1] والسمن والعسل. فكان يُبقي من ذلك السمن والعسل فيجعل الباقي منها في جرة ثم يعلقها في بيته. فبينما الناسك ذات يوم مستلقٍ على ظهره، والجرة فوق رأسه، اذ نظر اليها فذكر غلاء السمن والعسل، فقال: انا بائعٌ ما في هذه الجرة بدينار فأشتري بالدينار عشرة اعنز. فيحملن ويلدن لستة اشهر — ثم حزر[2] على هذا الحساب لخمس سنين، فوجد ذلك اكثر من اربعمائة أعنز، ثم أبيعها فاشتري باثمانها مائة من البقر، بكل اربعة اعنز ثوراً، وأصيب بذراً فازرع على الثيران، فلا يأتي عليّ خمس سنين إلا وقد اصبت منها ومن الزرع مالاً كثيراً، فأبني بيتاً فاخراً، واشتري عبيداً وإماءً[3] ورياشاً ومتاعاً، فاذا فرغت من ذلك تزوجت امرأة جميلة ذات حسب، ثم تلد ابناً سوياً مباركا فاسميه

---

(١) السويق: الدقيق. (٢) حزر: حسب
(٣) الاماء: جمع امة، وهي الجارية.

مامه واؤدبه أدباً حسناً ، واشتد عليه في الادب ، فان لم يقبل الادب مني ضربته بهذه العصا هكذا . ورفع العصا يشير بها ، فأصابت الجرة فانكسرت ، وانصب السمن والعسل على رأسه ولحيته .

وانما ضربت لك هذا المثل لتنتهي عن الكلام فيما لا تدري . فاتعظ الناسك بقولها . ثم ان المرأة ولدت غلاماً سوياً فسرّ به أبوه ، حتى اذا كان بعد أيام قالت المرأة لزوجها : اقعد عند الصبي حتى أغتسل وأرجع اليك . فانطلقت المرأة . ولم يقعد الرجل الا قليلاً حتى جاءه رسول الملك فذهب به ، ولم يخلّف مع ابنه احداً ، الا انه قد كان له ابن عرس قد رباه فتركه الرجل عند ابنه ، وكان مؤدباً معلماً ، وذهب الى الملك .

وكان في بيته جحر اسود[1] ، فخرج يريد الغلام ، فوثب عليه ابن عرس فقطعه قطعاً . واقبل الناسك عند انصرافه ، الى منزله فدخله ، فلقيه ابن عرس يسعى اليه كالمبشر له بما صنع . فلما نظر اليه الناسك متلطخاً بالدم سُلب عقله ، ولم يظن الا انه قد قتل ولده . فلم يتأنّ[2] ولم يثبت في امره ، فضرب ابن عرس بِعَصاً كانت معه فقتله . ودخل منزله فرأى الغلام حياً والاسود مقتولا ، فأقبل يدق صدره ويلطم وجهه وينتف لحيته ، وجعل يقول : ليت هذا الغلام لم يولد ، ولم اصر الى هذا الاثم والغدر . فدخلت عليه

عظيمة

(٢) يتأنى : ينتظر.

المرأة ، وهو يبكي ، فقالت له : ما يبكيك ؟ وما شأن هذا الاسود وابن عرس مقتولين ؟ فأخبرها بالامر وقال :

هذا جزاء من يعمل بالعجلة ولا يتثبّت ...

مثل الأسد والذئب والغراب وابن آوى والجمل

•

زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورة طريقاً من طرق الناس ، له اصحاب ثلاثـــة : ذئب ،وابن آوى ، وغراب ، وان أناساً من التجـــار مروا في ذلك الطريق ، فتخلف عنهم جمل لهم ، فدخل الأجمة حتى انتهى الى الاسد ، فقال له الاسد :

من اين أقبلت ؟ فأخبره بشأنه . فقال له : ما تريد ؟ قال أريد صحبة الملك. قال : فأن أردت صحبتي فاصحبني في الامن والخصب والسعة . فأقام الجمل مع الاسد . حتى اذا كان يوم توجـه الاسد في طلب الصيد فلقي فيلاً فقاتله قتـالا شديداً . ثم أقبل الاسد تسيل دماؤه مما جرحه الفيل بنابه، فوقع مثخناً لا يستطيع صيداً . فلبث الذئب وابن آوى والغراب اياماً لا يصـبن شيئاً مما كنّ يعشن به من فضول الاسد ، وأصابهم[1] جوع وهزال شديد . فعرف الاسد ذلك منهن فقال : جُهدتنّ واحتجتنّ الى ما تأكلن . فقلن : ليس

---

(١) هكذا في الأصل . والملاحظ أنه عدل عن ضمير المؤنث إلى ضمـير المذكر في ما بعد .

همّنا انفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى ، ولسنا نجد للملك بعض ما يُصلحه . قال الاسد : ما أشكّ في مودتكم وصحبتكم ، ولكن ان استطعتم فانتشروا ، فعسى ان تصيبوا صيداً فتأتوني به ، ولعلي اكسبكم ونفسي خيراً .

فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحّوا ناحية ، وائتمروا بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الجمل الآكل العشبَ ، الذي ليس شأنه شأننا ولا رأيه رأينا ؟ ألا نزين للاسد ان يأكله ويطعمنا من لحمه ؟

قال ابن آوى : هذا ما لا تستطيعان ذكره للاسد ، فانه قد أمّن الجمل ، وجعل له ذمّة . قال الغراب : أقيما مكانكما ودعاني والاسد . فانطلق الغراب الى الاسد . فلما رآه قال له الاسد : هل حصلتم شيئاً ؟قال له الغراب : إنما يجدُ من به ابتغاء ، ويبصر من به نظر . اما نحن فقد ذهب منا البصر[1] والنظر لما اصابنا من الجوع ، ولكن قد نظرنا في امر واتفق عليه رأينا فان وافقتنا عليه فنحن مخصبون . قال الاسد : وما ذلك الامر ؟ قال الغراب : هذا الجمل الآكل العشب ، المتمرّغ بيننا في غير منفعة . فغضب الاسد وقال : ويلك ! ما اخطأ مقالتك ، وأعجز رأيك ، وابعدك من الوفاء والرحمة ! وما كنت حقيقاً[2] ان تستقبلني بهذه المقالة . ألم تعلم اني أمّنت الجمل ، وجعلت له ذمة ؟ الم يبلغك انه لم يتصدّق

---

(١) البصر : هنا بمعنى التبصر .

(٢) اهلاً ، جديراً .

المتصدق بصدقـــة ، وإن عظمت ، هي اعظم من ان يُجير نفساً خائفـــة ، وان يحقن دماً مهدوراً ؟ وقد أجرت الجمل ، ولست غادراً به . قال الغراب : إني لأعرف ما قال الملك . ولكن النفس الواحدة يفتدي بها أهل البيت ، واهل البيت تفتدي بهم القبيلة ، والقبيلة يفتدي بها المِصرُ ، والمصر فدى الملك اذا نزلت به الحاجة. وإني جاعلٌ للملك من ذمتـه مخرجاً ، فلا يتكلف الاسد ان يتولى غدراً ولا يأمر به . ولكنا محتالون خيـــلة فيها وفاءٌ للملك بذمته وظفر منا بحاجتنا . فسكت الاسد.

فأتى الغراب اصحابه فقال : اني قد كلمت الاسد حتى أقرّ بكذا و كذا . فكيف الحيلة للجمل اذا أبى الاسد ان يـــلي[1] قتله او يأمر به ؟ قال صاحباه :

برفقك ورأيك نرجو ذلك . قال الغراب : الرأي ان نجتمع والجمل ، ونذكر حال الاسد ، وما قد اصابه من الجوع والجهـد ، ونقول : لقد كان الينا محسناً ، ولنا مكرماً. فان لم يَرَ منا اليوم ، وقد نزل به ما نزل ، اهتماماً بامره وحرصاً على صلاحـه انزل ذلك منا على لؤم الاخلاق وكفر الاحسان . ولكن هلموا فتقدموا الى الأسد نذكر له حسن بَلائه عندنا ، وما كنا نعيش به في جاهـــه ، وانه قد احتاج الى شكرنا ووفائنـــا ، وانا لو كنا نقدر له على فائدة نأتيه بها ، لم ندّخر ذلك عنه ، فان لم نقدر على ذلك فانفسنا له مبذولة . ثم ليعرضْ عليه كل واحد منا نفسه وليقلْ : كلني ايها

---

(١) بمعنى يتولى ، يتعهد .

الملك ، ولا تمت جوعاً . فاذا قال ذلك قائل ، اجابه الآخرون وردوا عليه مقالته بشيء يكون له فيه عذر ، فيسكت ويسكتون ، ونسلم كلنا ونكون قد قضينا ذمام [1] الأسد ففعلوا وواطأهم [2] الجمل على ذلك .

ثم تقدموا الى الاسد، فبدأ الغراب وقال : انك احتجت ايها الملك الى مـــا يُقيمك ،ونحن احق ان نهب انفسنا لك ، فانا بك كنا نعيش ، وبك نرجو عيش من بعدنا من اعقابنا ، وان انت هلكت فليس لاحد منا بعدك بقاء، ولا كان لنا في الحياة خير ؛ فانا احبّ ان تأكلني ، فما اطيب نفسي لك بذلك ! فاجابـــه الذئب والجمل وابن آوى ان اسكت فما انت ؟ وما في اكلك من الشِبَع للملـــك ؟

قال ابن آوى : انا مشبع الملك. قال الذئب والجمل والغراب: انت مُنتنُ البطن والريح ، خبيث اللحم ، فنخاف إن أكلك الملك ، ان يقتله خبثُ لحمك . قال الذئب : لكني لست كذلك فليأكلني الملك. قال الغراب وابن آوى والجمل :من اراد قتل نفسه فليأكل لحم الذئب ،فانه ياخذه منه الخناق [3] .

وظن الجمل انه اذا قال مثل ذلك عن نفسه ، يلتمسون له مخرجاً كما صنعوا بانفسهم ، ويسلمُ ويُرضي الاسد .

---

(١) ذمام : عهد .

(٢) واطأ : وافق .

(٣) الخناق: داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة والقلب .

قال الجمل : لكن ايها الملك ، لحمي طيّب ومريء [1] وفيه شبع للملك . قال الذئب والغراب وابن آوى : صدقت وتكرمت وقلت ما نعرف . فوثبوا عليه فمزقوه .

(١) : طيب ، هنيء .

القصص الاخبارى

الحكايات الحبية

١ - مجنون ليلى

٢ - قيس ولبنى

٣ - عروة وعفراء

٤ - شهيدا هوى...

ما هو القصص الأخباري ؟

•

يتضح من تقسيمنا للحكايات العربية أن القصص الأخباري هو في مقدمة القصص العربي الاصيل . ونحن نعني بالقصص الاخباري هذه الحكايات القصيرة التي لا تزيد عن أن تحمل في نفسها خبراً من الاخبار أو رواية من الروايات أو حديثاً من الاحاديث . وليست هذه الحكايات مجموعة في كتاب واحد معين معروف، بل هي مشتتة هنا وهناك ،واردة في اكثر الكتب العربية القديمة كالاغاني والعقد ، والكامل ، وتاريخ الطبري وغيرها من كتب الأصول والتاريخ .

أنواعها

وهذه الحكايات وان تكن متشابهة في قصرها وفي الفكرة الواحدة التي تؤديها ، إلا أنها ذات مواضيع مختلفة ، متعددة نذكر للطالب نموذجات من بعضها مثل :

الحكايات الحبيّة ، والحكايات الغنائية ، والحكايات الاجتماعية فيما يلي من صفحات :

مجنون ليلى

•

اول الحب نظرة

كان سبب عشق المجنون ليلى ، انه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة ، وعليه حلتان من حلل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها كريمة ، وعندها جماعة نسوة يتحدثن ، فيهن ليلى ، فأعجبهنّ جماله وكماله ، فدعونه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يحدثهن ، وأمر عبداً له كان معه ، فعقر لهن ناقته ، وظل يحدثهن بقية يومه .

فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهن فتى عليه بُردة من برد الأعراب يقال له مُنازل يسوق مِعزى له ، فلمّا رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون فغضب وخرج من عندهنّ .

فلما أصبح لبس حُلته ، وركب ناقة له أخرى ، ومضى متعرضاً لهن ، فألفى ليلى قاعدة بفِناء بيتها ، وقد علق حبه بقلبها وهويته وعندها جويريات يتحدثن معها ، فوقف بهن وسلم فدعونه للنزول وقلن له : هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره ؟ فقال : إي لعمري . فنزل وفعل مثل ما فعله بالامس ، فأرادت أن

تعلم ، هل لها عنده مثل ما له عندها ؟ فجعلت تُعرض عن حديثه . ساعةً بعد ساعة ، وتحدّث غيره ،وقد كان علق بقلبها مثل حبها إياه ، وشغفته واستملحها .

فبينا هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي ، فدعته وسارّته سِراراً طويلًا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت الى وجه المجنون فوجدته قد تغيّر ،وانتُقع لونه، وشقّ عليه فعلها فأنشأت تقول :

كلانا مظهرٌ للنـــاس بغضاً وكلٌ عند صاحبه مكـــينُ
تبلّغنا العيون بمـــا أردنا وفي القلبين ثَمّ هوى دفـــين

فلما سمع البيتين شهقَ شهقة شديدة واغمي عليـه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونضحوا الماء على وجهه حتى افاق ، وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلّ مبلغ .

أي ليلة هي ؟

واجتاز قيس بن ذريح بالمجنون ، وهو جالس وحـده في نادي قومه ، وكان كل واحد منهما مشتاقاً الى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس الا منفرداً ، ولا يُحدّث احداً ، ولا يرُدّ على متكلم جواباً ، ولا على مسلّم سلاماً ، فسلّم عليه قيس بن ذريح ، فوثب اليه فعانقه وقال : مرحبـاً بك يا اخي ، انا والله مذهوب بي ، مشترَك اللبّ فلا تلمني .فتحدّثا ساعة وتشاكيا وبكيا .

ثم قال له المجنون : يا اخي ، ان حيّ ليلى منا قريب ، فهـل لك ان تمضي اليها فتبلغها عني السلام ؟ فقال له أفعل .

فمضى قيس بن ذريح حـتى اتى ليلى فسلم وانتسب فقالت له :

حياك الله ، ألك حاجـــة ؟ قال : نعم ، ابن عمك ارسلني اليك بالسلام . فأطرقت ثم قالت : ما كنتَ اهلاً للتحية لو علمت انك رسوله ، قل له عني: أرأيت قولك :

ابت ليلة بالغِيل [1] يا ام مالك لكم غيرَ حب صادق ليس يكذِب
الا انما ابقيتِ يا امّ مالكٍ صدى، اينما تذهب به الريح يذهب [2]

اخبرني عن ليلة الغيل ، اي ليلة هي ؟ وهـل خلوتُ معك في الغيل او غـيره ليلاً او نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنـــة عمّ إن الناس تأوّلوا كلامه على غير ما اراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنما اخبر انه رآك ليلة الغيل فذهبتِ بقلبـــه ، لا انه عناكِ بسوء . قال: فاطرقتْ طويلا ودموعها تجري وهي تكفكفها ، ثم انتحبتْ حتى قلت: تقطعت حيازيمها [3] . ثم قالت : إقرأ على ابن عمي السلام ، وقل له : بنفسي انت ! والله إن وجدي بك لفوق ما تجدْ ، ولكن لا حيلة لي فيك . فانصرف قيس ليخبره فلم يجده .

واجهشت للتوباد ...

كان المجنون وليلى وهما صبيّان يرعيان غنماً لاهلهما عند جبـل في بلادهما يقال له التّوباد [4] . فلما ذهب عقله وتوحّش كان يجيء الى ذلك الجبل فيقيم به فاذا تذكر ايامَ كان يُطيفُ هو وليلى به جزع

---

(١) الغيل واد لبني جعدة .
(٢) في البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروي .
(٣) واحدها الحيزوم وهو وسط الصدر .
(٤) التوباد : جبل بنجد .

جزعاً شديداً واستوحش . فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فاذا ثاب اليه عقله رأى بلداً لا يعرفه ، فيقول للناس الذين يلقاهم : بأبي انتم ، اين التوباد من ارض بني عامر ؟ فيقال له : واين انت من ارض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا . فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد فاذا رآه قال في ذلك :

واجهشتُ للتوباد حين رأيته ... وكبّر للرحمن حين رآني !
واذريت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له : قد كان حولك جيرةٌ ... وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان ؟

ما أعقل ما اصنع !

قال احمد الرّواة : قلت لقيس بن الملوّح قبل ان يخالَط [1] : ما اعجبُ شيء أصابك في وجدك بليلى ؟ قال : طرقنا ذات ليلة اضياف ولم يكن عندنا لهم أدْم [2] ، فبعثني ابي الى منزل ابي ليلى ، وقال لي : اطلب لنا منه أدماً ، فأتيته ، فوقفت على خبائه ، فصحت به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلت : طرقنا ضيفان ولا أدْم عندنا لهم ، فأرسلني ابي نطلب منك أدماً ، فقال : يا ليلى : أخرجي اليه ذلك النِحْي [3] فاملأي له إناءه من السمن . فأخرجته ، ومعي قَعب [4] ، فجعلت تصبّ السمن فيه ونتحدث ، فألهانا الحديث ،

---

(١) خولط في عقله : فسد عقله .
(٢) الأدم : جمع إدام وهو ما يجعل مع الخبز فيطيبه .
(٣) النحي : الزق لوضع السمن . (٤) القدح الضخم .

وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى استنقعت ارجلنا في السمن .

فأتيتهم ليلة ثانية اطلب ناراً ، وانا متلفّع ببُرد لي ، فأخرجت لي ناراً في عُطبة [1] لي فأعطتنيها ، ووقفنا نتحدث ، فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقةً وجعلت النار فيها ، فكلما احترقت خرقت اخرى ، وأذكيت بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلا ما وارى عورتي ، وما أعْقِلُ ما اصنع !

فاذا فلفةٌ فحر لم ترعيني مثلها..!

قال بعض أشياخ بني مرة : خرج منا رجل الى ناحية الشام والحجاز وما يلي تيماء والسّراة [2] وأرض نجد ، في طلب بغية له ، فاذا هو بخيمة قد رُفعت له وقد أصابه المطر .

فعدل اليها وتنحنح فاذا امرأة قد كلمته ، فقالت : انزل . فنزل ، وراحت إبلهم وغنمهم فاذا امر عظيم ، فقالت : سلوا هذا الرجل من أين اقبل ؟ فقلت : من ناحية تهامة ونجد ، فقالت : ادخل ايها الرجل .

فدخلت الى ناحية من الخيمة ، فأرخت بيني وبينها ستراً ، ثم قالت لي : يا عبد الله ، ايّ بلاد نجد وطئت ؟ فقلت : كلها . قالت : فبمن نزلت هناك ؟ قلت : ببني عامر ، فتنفست الصّعَداء ، ثم

---

(١) العطبة : الخرقة تؤخذ بها النار .

(٢) السراة : الجبال الحاجزة بين تهامة ونجد.

قالت : فبأيّ عامر نزلت؟ فقلت ببـــني الحريش، فاستعبرت [1] ثم قالت : فهل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له قيس بن الملوح ويلقب بالمجنون ؟ قلت : بلى والله ! وعلى أبيه نزلت، واتيته فنظرت اليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش، لا يعقل ولا يفهم الا ان تُذكر له امرأة يقال لها ليلى، فيبكي ويُنشد اشعاراً قالها فيها .

قال: فرفعت الستر بيني وبينها، فاذا فِلقة قمر لم تر عيني مثلها، فبكت حتى ظننتُ ، والله، ان قلبها قد انصدع ، فقلت : ايتها المرأة اتقي الله فما قلت بأساً ، فمكثت طويلا على تلك الحال من البكاء والنحيب ، ثم قالت :

ألا ليت شعري ، والخطوب كثـــيرة
متى رحلُ قيسٍ مستقـــلّ فراجعُ ؟
بنفسيَ ، من لا يستقـــل برحـــله
ومن هو إن لم يحفظ الله ضـائع

ثم بكت حتى سقطت مَغشيا عليها، فقلت لها :من انت يا امَة الله ؟ وما قصتك ؟ قالت: أنا ليلى صاحبته المشؤومة ،والله ، عليه ، غير المؤنسة له . فما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه قط .

اللهم زدني ليلى حباً

روي أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا الى أبي ليلى، فوعظوه وناشدوه اللهَ والرحم ، وقالوا له : إن هذا الرجل لهالك ، وقبل ذلك هو في اقبحَ من الهلاك بذهاب عقله ، وإنك فاجعٌ به

---

(١) استعبرت : بكت .

أباه وأهله ، فنشدناك الله والرّحم ان تفعل ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ولا لك مثلُ مالِ ابيه ، وقد حكّمك في المهر ، وإن شئت أن يخلع نفسه اليك من ماله فعل .

فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا يزوجه إياها ابداً ، وقال : أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأتِهِ أحد من العرب ، وأسِمُ ابنتي بميسم [1] فضيحة ! فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلًا من قومها .

وبلغ قيساً الخبر فأيس منها حينئذ وزال عقله جملةً ، فقال الحي لأبيه : احجُجْ به الى مكة ، وادعُ الله عز وجل له ، وُمره أن يتعلق بأستار الكعبة ، فيسأل الله ان يعافيه مما به ، ويبغضها اليه ، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء .

فحج به أبوه ، فلما صار بمنى سمع صائحـــاً في الليل يصيح : يا ليلى ! فصرخ صرخة ظنّوا أن نفسه قـــد تلفت ، وسقط مغشياً عليه ، فلم يزل كذلك حتى اصبح ، ثم أفاق حـــائلَ اللون ذاهلًا فأنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف [2] من منى ... فهيّج أطرابَ الفؤاد ومايدري
دعا باسم ليلى ، غيرَها ، فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى ، ضلّ الله سعيه ... وليلى بأرض عنه نازحة ، قعرِ

ثم قال له ابوه : تعلّقْ بأستار الكعبة ، واسأل الله ان يعافيك من حب ليلى . فتعلّق بأستار الكعبة ، وقال : اللهمّ زدني لليـلى

---

(١) الميسم : العلامة .
(٢) الخيف : اسم مكان .

حباً ، وبها كلفاً ،ولا تُنسني ذكرها ابداً . فهام حينئذ واختُلط[1].

فكان يهيم في البرية مع الوحش ، ولا يأكل الا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها. وطال شعر جسده ورأسه .والفته الظباء والوحوش ، فكانت لا تنفر منه . وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام ، فاذا ثاب اليه عقله سأل من يمرّ به من احياء العرب عن نجد ، فيقال له : واين انت من نجد ! قد شارفتَ الشام ! انت في موضع كذا ،فيقول : فأروني وجهة الطريق ، فيرحمونه ويعرضون عليه ان يحملوه او يكسوه فيأبى ، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه !

فنفر مني نفور الوحش من الانس ...

خرج شيخ من بني مرّة ليلقى المجنون في ارض بني عامر . قال : فدُللت على محلته فأتيتها ، فاذا ابوه شيخ كبير واخوة له رجال واذا نَعَمٌ كثير وخير ظاهر فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً.

وقال الشيخ : والله لقد كان آثر في نفسي من هؤلاء واحبهم اليّ ! وانه هويَ امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمع في مثلهِ ، فلما أن فشا امره وامرُها كره ابوه ان يزوجها منه بعد ظهور الخبر ، فزوجها من غيره فذهب عقل ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجداً عليها ، فحبسناه وقيدناه ، فجعل يعضّ لسانه وشفته حتى خفنا عليه ان يقطعها فخلينا سبيله ، فهو يهيمُ في هذه الفيافي

---

(١) اختلط : فسد عقله .

مع الوحوش ، يُذهب اليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ، فاذا تنحّوا عنه جاء فأكل منه .

قال : فسألتهم ان يدلوني عليه ، فدلوني على فتى من الحي كان صديقاً له ، وقالوا : انه لا يأنس إلا به ، ولا يأخذ اشعارَه عنه غيرُه. فاتيته فسألته ان يدلني عليه ، فقال : ان كنت تريد شعره فكل شعر قاله الى امسِ عندي ،وانا ذاهب اليه غداً فان كان قال شيئاً اتيتك به . فقلت : بل اريد ان تدلني عليه لآتيه . فقال لي : إنه إن نفر مني فيذهب شعره ، فأبيت إلا ان يدلني عليه ، فقال : اطلبه في هذه الصحارى فاذا رأيته فادنُ منه مستأنساً ،ولا تُرِه انك تهابه فانه يتهدّدك ويتوعدك ان يرميك بشيء ، فلا يروعنّك، واجلس صارفاً بصرك عنه ، والحظه احياناً ، فاذا رأيته قد سكن من نفاره ، فانشده شعراً غزلاً ، وان كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فانشده إياه فانه معجب به .

فخرجتُ فطلبته يومي الى العصر، فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه باصبعه خطوطاً ، فدنوت منه غيرَ منقبض ،فنفر مني نفور الوحش من الانس ، والى جانبه احجار فتناول حجراً ، فاعرضت عنه ، فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام ، فلما طال جلوسي سكن واقبل يخطّ بأصبعه ، فأقبلت عليه وقلت : أحسنَ والله قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا يا غراب البين ويحك نبّني بعلمك في لُبنى ، وانت خبيرُ
فأن انت لم تخبر بشيء علمتهُ فلا طرتَ ، إلا والجناح كسير
ودرت باعداء حبيبك فيهمُ كما قد تراني بالحبيب أدور !

فأقبل علي وهو يبكي ثم قال : وانا احسن منه قولا حيث اقول:

كأن القلب ليلة قيل يُغدى بليلى العامرية او يُراحُ
قطاةٌ عزّها [1] شركٌ فباتت تُنازعه ، وقد علق الجناح !

فامسكتُ عنه هنيهة ، ثم اقبلت عليه فقلت: وأحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمع عينيّ بالبكا
حذاراً لما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن ، وهو بائن
وما كنت أخشى ان تكون منيّتي
بكفّيك ، إلا ان ما حان حائن

قال فبكى، والله، حتى ظننت ان نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعه قد بلّت الرمل الذي بين يديه ، ثم قال : احسن لعمر الله !

ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفت. وعدت من غد فطلبته فلم أجده، وجاءت امرأة، كانت تصنع له طعامه، إلى الطعام فوجدته بحاله .

فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء اهله معي فطلبناه يومنا فلم نجده ، وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره ، حتى وجدناه في واد كثير الحجارة، خشن، وهو ميت بين تلك الحجارة ، فبينما يقلبونه إذ وجدوا خرقة فيها مكتوب :

---

(١) عزها : غلبها .

ألا ايهـــا الشيخ الذي ما بنـا يرضى
شقيتَ ولا هُنّيت من عيشك الغضا
شقيت كما أشقيتـــني وتركتني
أهيم مع الهـــلاّك لا اطعَم الغمضا
كأن فؤادي في مخـــالب طائر
إذا ذكرت ليلى يشدّ بهـــا قبضا
كأن فجاج الارض حلقة خـــاتم
عليّ فمـــا تزداد طولاً ولا عرضا

واحتمله اهله فغسّلوه وكفّنوه، فلم تبقَ فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش الا خرجت حاسرة، صارخة عليه تندبه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء، وينشجون عليه اشد نشيج، وحضرهم حي ليلى معزين وابوها معهم، فكان اشد القوم جزعـــاً وبكاء عليه، وجعل يقول: ما علمنا ان الامر يبلغ كل هذا، ولكني كنت امرءاً عربياً أخاف العار، وقبح الاحدوثة ما يخافه مثلي، فزوجتها وخرجت عن يدي، ولو علمت ان امره يجري على هذا ما اخرجتها عن يده، ولا احتملت ما كان عليّ في ذلك.

قال فما رئي يومٌ كان اكثر باكية وباكياً على ميت من يومئذ.

قيس ولبنى

•

كان منزل قيس [1] في ظاهر المدينـــة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة ؛ فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة ، فوقف على خيمة منها ، والحيّ خُلوف [2] ، والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية ، فاستسقى ماء ، فسقته وخرجت اليه به ، وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء [3] ، حلوة المنظر والكلام .

فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب المـاء . فقالت له : اتنزل فتتبرّد عندنا ؟ قال : نعم ؛ فنزل بهم . وجاء ابوهـــا فنحر له واكرمه . فانصرف قيس ، وفي قلبه من لبنى حرٌ لا يُطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي .

ثم اتاها يوماً آخر ، وقد اشتدّ وجده بها ، فظهرت له وردّت

---

(١) هو قيس بن ذريح من كنانة ، كان هو وابوه من حاضرة المدينة ، واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية . توفي سنة ٧٠ هـ .

(٢) خلوف : غائبون .

(٣) الشهلاء : التي يخالط سواد عينيها زرقة .

سلامه ، وتحفّت [1] به . فشكا اليها ما يجد بها وما يلقى من حبها وشكت اليه مثل ذلك فأطالت . وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه .

فانصرف الى ابيه وأعلمه حاله ، وسأله ان يزوّجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني عليك باحدى بنات عمك ، فهنّ احقّ بك — وكان ذريح كثير المال، موسراً فأحب الا يخرج ابنه الى غريبة.

فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه ابوه به ، فاتى أمه فشكا ذلك اليها ، واستعان بها على ابيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ .

فاتى الحسين بن علي بن ابي طالب ، وابن ابي عتيق فشكا اليهما ما به وما ردّ عليه ابوه . فقال له الحسين : انا اكفيك . فمشى معه الى ابي لبنى، فلما بصُرَ به اعظمه ووثب اليه وقال له: يا ابن رسول الله ، ما جاءبك ؟ألابعثت اليّ فاتيتك ؟ قال : ان الذي جئت فيه يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطباً ابنتك لبنى لقيس بن ذريح . فقال : يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصي لك امراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن احبّ الأمر الينا ان يخطبها ذريح ابوه علينا وان يكون ذلك عن امره ، فانما نخاف ان لم يسعَ ابوه في هذا ان يكون عاراً وسُبّة علينا .

فاتى الحسين ، رضي الله عنه ، ذريحاً وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا اليه اعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين [2] فقال لذريح : اقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس . قال : السمع

---

(١) تحفت : بالغت في إكرامه .

(٢) الخزاعيون : قوم لبنى .

والطاعة لأمرك !

فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا دار لبنى ، فخطبها ذريح على ابنه الى ابيها فزوّجه اياها ، وزُفت اليه بعد ذلك ، فاقامت معه مدة لا ينكر احد من صاحبه شيئاً .

وكان ابرّ الناس بامه فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت امه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي ، ولم ترَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً . فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه : لقد خشيت ان يموت قيس وما يترك خلفاً وقد حُرم الولد من هذه المرأة ، وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة [1] فزوّجه بغيرها لعلّ الله ان يرزقه ولداً ، والحّت عليه في ذلك .

فامهل قيساً حتى اذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس ، انك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك ، وهذه المرأة ليست بوَلود ، فتزوّج احدى بنات عمك ، لعل الله ان يهب لك ولداً تقرّ به عينك واعيننا .

فقال قيس : لست متزوجاً غيرها ابداً ؛ فقال له ابوه : فأن في مالي سعة فتسرّ بالأماء ، قال : ولا اسوءها بشيء ابداً والله . فقال ابوه : فاني اقسم عليك إلا طلّقتها . فأبى وقال : الموت ، والله ، عليّ اسهل من ذلك ، ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوّج انت فلعلّ الله ان يرزقك ولداً غيري . قال : فما فيّ فضلة لذلك . قال : فدعني ارتحل عنك بأهلي

(١) الكلالة : من جاء بعد الاب والابن من الورثة

واصنع ما كنتَ صانعاً لو متّ في علتي هـذه . قال : ولا هذه . قال فادْعُ لبنى عندك وارتحل عنك فلعلي اسلوها فاني ما احب بعد ان تكون نفسي طيبة انها في خيالي .

قال : لا ارضى او تطلقها. وحلف لا يُكنّه سقف بيت ابداً، حتى يطلق لبنى ، فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه فيظـــله بردائه ويصلى هو بحرّ الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ، ويدخل الى لبنى فيعانقهـــا وتعانقه ، ويبكي وتبكي معه وتقول له:يا قيس، لا تُطع أباك فتهلك وتهلكني فيقول : ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً ، ومكث كذلك سنة ثم طلقها . فلمّا باتت لبني بطلاقه ، وفرُغ من الكلام لم يلبث حتى أستطير عقله وذُهب به ، ولحقه مثل الجنون ، وتذكّر لبنى وحالها معه ، فأسف وجعل يبكي وينشج [1] أحرّ نشيج . وبلغهـــا الخبر فأرسلت الى ابيها ليحملها ، فأقبل ابوها يهودج على ناقـــة وبأبل تحمل اثاثها .

فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت لا تسألني وسل لبنى ، فذهب ليلمّ بخبائها فيسألهـا ، فمنعه قومها . فأقبلت عليه امرأة من قومـــه فقالت له : مالك ؟ ويحك ! تسأل كأنك جاهل او متجاهل ! هذه لبنى ترتحل الليلة او غداً ، فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :

وإني لمفن دمع عينيّ بالبـــكا حذارَ الذي قد كان او هو كائنُ

---

(١) ينشج في البكاء : يغص .

وقالوا : غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن ، وهو بائن
وما كنت أخشى ان تكون منيتي بكفيك ، إلا ان ما حان حائن

ثم التفت فرأى غراباً سقط قريباً منه فجعل ينعق مراراً فتطيّر منه وقال:

لقد نادى الغراب ببين لبنى فطار القلب من حذرِ الغرابِ
وقال غداً تباعَدُ دار لبنى وتنأى بعد ودّ واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب وكان ،الدهرَ ، سعيك في تباب

ومنعه قومه من الألمام بها ، فقال :

ألا يا غراب البين، ويحك! نبّني بعلمك في لبنى ، وانت خبيرُ
فان انت لم تخبر بما قد علمته فلا طرت إلا والجناح كسير
ودرت باعداء ، حبيبك فيهم كما قد تراني بالحبيب أدور

ثم أدخلت في هودجها ، ورحلت ، وهي تبكي ! فاتبعها وهو يقول :

الا يا غراب البين هل انت مخبري
بخير كما خبّرتَ بالنأي والشرِّ
وقلتَ : كذاك الدهر ما زال فاجعاً
صدقتَ ، وهل شيء بباق على الدهر ؟

ثم علم ان اباها سيمنعه من المسير معها ؛ فوقف ينظر اليهم ويبكي ، حتى غابوا عن عينيه فكرّ راجعاً ، ونظر الى أثر خف بعيرها ، فأكبّ عليه يقبله ، ورجع يقبّل موضع مجلسها وأثر قدمها ، فلم على ذلك ، وعنّفه قومه على تقبيل التراب ، فقال :

وما أحببت ارضكمُ ولكن أقبّل إثرَ من وطىء الترابا

لقـــد لاقيت من كلفي بلبنى ... بـــلاءً ما أسيغ به الشرابا
إذا نادى المنـــادي باسم لبنى ... عييت فمـــا أطيق له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها :

الا يا رَبع لبنى مـــا تقول ؟ ... أبِنْ لي اليوم ما فعل الحُلول
فلو ان الديار تجيب صباً ... لردّ جوابيَ الربعُ المحيـــل
ولو اني قـدرت غداةَ قالت : ... غدرتَ ، وماءُ مقلتهـــا يسيل
نحرت النفس حين سمعت منها ... مقالتها ، وذاك لهـــا قليل
الا يا قلب ويحك ! كن جليداً، ... فقد رحلتْ، وفات بها الذميل[1]
فانك لا تُطيق رجوع لبنى ... اذا رحلت ، وان كثر العويل
وكم قد عشتَ ؟ كم بالقرب منها ! ... ولكنّ الفراق هو السبيـــل
فصبراً ، كل مؤتلفَين يومـــاً ... من الايـــام عيشهما يزول

فلما جَنّ عليه الليل، وانفرد وآوى الى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململَ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول :

بت، والهمّ ، يا لبينى ، ضجيعي ... وجرت، مذنأيتِ عني، دموعي
وتنفستُ إذ ذكرتكِ حـــتى ... زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
اتناساك ، كي يُزيغ[2] فؤادي ... ثم يشتد عنـــد ذاك ولوعي
يا لبينى ، فدتك نفسي واهـلي ! ... هل لدهر مضى لنا من رجوع !

*

ومرض قيس، فسأل ابوه فتيات الحي ان يعدنه ويحدثنه لعله

---

(١) الذميل : السير .
(٢) يزيغ : يحيد .

ان يتسلى ففعلن ذلك، ودخل الطبيب اليه يداويه ، والفتيات معه فلما اجتمعن عنده جعلن يحدثنه ، وأطلن السؤال عن سبب علّته ، فقال :

عِيدَ قيسٌ من حب لبنى ، ولبنى داء قيس ، والحب داء شديد
واذا عادني العوائد يوماً قالت العين : لا أرى من اريد
ليت لبنى تعودني ثم اقضي انها لا تعود فيمن يعود !

فقال له الطبيب : منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا ، فاصبح ناميا وليس ، اذا متنا ، بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب : ان مما يسليك عنها ان تذكر ما فيها من المساوىء والمعايب ، وما تعافه النفس من اقذار بني دم ، فان النفس حينئذ تنبو وتسلو وتخف ما بها فقال :

اذا عبتها شبّهتُها البدرَ طالعاً
وحسبُك من عيب بها شَبَهُ البدرِ
لقد فُضّلت لبنى على الناس مثل ما
على الف شهر فضلت ليلة القدرِ

ودخل ابوه ، وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنّبه ولامه ، وقال له : يا بني ، اللهَ اللهَ في نفسك ! فانك ميت ان دمت على هذا ، فقال :

وفي عروة العذري[1] ان متّ اسوةٌ
وعمرو بن عجلانَ[2] الذي قتلت هندُ
وبي مثلُ ما ماتا به ، غير انني
الى اجلٍ لم يأتني وقته بعدُ
هل الحب الا عبرةٌ بعد زفرة
وحرٌ على الاحشاء ليس له بردُ ؟

لما طال على قيس ما به من الأمر بعد طلاق لبنى أشار قومه على ابيه بأن يزوجه امرأة جميلة ، فلعله ان يسلو بها عن لبنى . فدعاه الى ذلك فاباه وقال :

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وان كان مقنعا
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى اليها النفس إلا تطلّعا

فاعلمهم ابوه بما رد عليه . قالوا : فمره بالمسير في احياء العرب والنزول عليهم ، فلعلّ عينه ان تقع على امرأة تعجبه . فأقسم عليه ابوه ان يفعل.

فسار حتى نزل بحيّ من غَزارة ، فرأى جارية حسناء قد حسرت بُرقعَ خزّ عن وجهها ، وهي كالبدر ليلة تمّه ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : لبنى . فسقط على وجهه مَغشياً عليه ؛ فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ثم قالت : ان لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون ! فأفاق فنسبته فانتسب . فقالت : قد علمت

---

(١) عروة بن حزام احد المتيمين الذين قتلهم الهوى وستأتي حكايته .
(٢) عمرو بن عجلان : شاعر جاهلي ، أحد من قتلهم الحب وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها ، ولما تزوجت زوجاً غيره مات أسفاً .

انك قيس ، ولكن نشدتك بالله وبحق لبنى إلا أصبت من طعامنا . وقدّمت اليه طعاماً ، فاصاب منه باصبعه ، وركب ، فأتى على اثره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقته ، فسألهم عنه فاخبروه ، فركب حتى ردّه الى منزله ، وحلف عليه ليقيمنّ عنده شهراً . فقال له : لقد شققتَ عليّ ولكني سأتبع هواك . والفزاريّ يزداد اعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصِّهر . فقال له : يا هذا ، ان فيك لرغبةً ولكني في شغل لا يُنتفَع بي معه .

فلم يزل يعاوده والحيّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا ان يصير علينا فعلك سُبّةً . فقال : دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغبُ الكرام . فلم يزل به حتى أجابه ، وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسمّاة لبنى ، وقال له : انا أسوق عنك صَداقها فقال : انا والله ، يا اخي ، اكثر قومي مالا ، فما حاجتك الى تكلف هذا ؟ انا سائر الى قومي وسائقٌ اليها المهر . ففعل واعلم اباه الذي كان منه ، فسرّه وساق المهر عنه .

ورجع الى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يروه هشّ اليها ولا دنا منها ، ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها .

واقام على ذلك اياماً كثيرة ، ثم اعلمهم انه يريد الخروج الى قومه اياماً ، فأذنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة ، وكان له صديق من الانصار بها ، فأتاه فأعلمه الانصاريّ ان خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت : انه لغدّار ! وقد كنت أمتنع من إجابة قومي الى التزويج فأنا الآن أجيبهم .

وقد كان ابوها شكا قيساً الى معاوية ، واعلمه تعرّضه لها بعد

الطلاق ، فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرّض لها ، وأمر اباها ان يزوّجها رجلا يعرف بخالد بن حلزة ، فزوّجها ابوها منه ، فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها :

لبينى زوجها أصبح ... لا حرّ بواديـــه
له فضل على الناس ... بما باتت تناجيـــه
وقيس ميّت حيٌ ... صريع في بواكيه
فلا يبعـــده الله ... وبعـــداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً ، وجعل ينشج أحرّ نشيج ويبكي أحرّ بكاء . ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها ، فناداه النساء: ما تصنع الآن هاهنا ! قد نُقلت لبنى الى زوجها ! وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم ، حتى أتى موضع خبائها ، فنزل عن راحلته وجعل يتمرغ في موضعها ، ويمرغ خدّه على ترابها ، ويبكي أحر بكاء ثم قال :

الى الله أشكو فقدَ لبني كما شكا ... إلى الله فقـدَ الوالدَين يتيمُ
يتيم جفـــاه الاقربون فجسمه ... نحيلٌ ، وعهد الوالدين قديمُ
تهيّضني [1] من حب لبنى علائق ... وأصنـــاف حب هولهن عظيم
ومن يتعلق حبّ لبنى فؤادُه ... يمتْ أو يعِشْ ، ما عاش ، وهو كليم

*

وشخص ابو لبنى الى معاوية ، فشكا اليه قيساً ، وتعرّضه لابنته بعد طلاقه إياها فكتب معاوية الى مروان يُهدر دمه إن ألمّ بها ، وأن

---

(١) تهيضه المرض : عاوده مرةً بعد اخرى .

يشتد في ذلك . فكتب مروان في ذلك الى صاحب الماء الذي ينزله ابو لبنى كتاباً وكيداً ، وأرسلت لبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تعلمه ما جرى وتحذّره . وبلغ اباه الخبر فعاتبه وتجهّمه وقال له : انتهى بك الأمر الى ان يهدر السلطان دمك ؟ فقال :

فأن يحجبوها او يحُل دون وصلها مقالةُ واشٍ او وعيدُ امير
فلن يمنعوا عينيّ من دائم البكا ولن يُذهبوا ماقد أجنّ ضميري
الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حُرَق تعتادني ، وزفيرِ
ومن حَرَق للحب في باطن الحشا وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل ان يظهر الهوى بانعمِ حالَيْ غبطةٍ وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم بطون الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنتِ حسب النفس لو دام وصلنا
ولكنما الدنيا متاع غرورِ

*

وحجّ قيس بن ذريح ، واتفق ان حجّت لبنى في تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدهش ، وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها .

ثم ارسلت اليه بالمراة تبلغه السلام وتسأله عن خبره فالفتاه جالساً وحده ينشد ويبكي :

ويوم مِنى اعرضتِ عني فلم أقل بحاجة نفس عند لبنى مقالهُا
وفي اليأس للنفس المريضة راحةٌ اذا النفس رامت خطة لا تنالها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبنى ويحدثها عن نفسه ملياً ،

ولم تعلمه ان لبنى ارسلتها اليه ، فسألها ان تبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه ، فأنشأ يقول :

اذا طلعت شمس النهار فسلّمي ... فآية [1] تسليمي عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت ... وعشر اذا اصفرّت وحان رجوعها

وقضى الناس حجهم ، وانصرفوا ، فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً اشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائداً لان قومها رأوه وعلموا به فقال :

ألبنى لقد جلّت عليك مُصيبتي ... غداةَ غدٍ اذ حلّ ما اتوقعُ
تُمنّيني نيلاً وتلويني به ... فنفسيَ شوقاً كل يوم تَقَطّع
وقلبكِ قط ما يلين لما يرى ... فواكبدي ، قد طال هذا التضرع
الومك في شأني ، وانت مُليمة ... لعمري ، وأجفى للمحب واقطع
اُخبّرت اني فيك ميّتُ حسرتي ... فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً ... وان كان دائي كله منكِ اجمع
صبيحة جاء العائدات يعدنني ... فظلت عليّ العائدات تَفجّع
فقائلة جئنا اليه وقد قضى ... وقائلة لا ، بل تركناه ينزع
فما غشيت عينيك من ذاك عَبرةٌ ... وعيني على ما بي بذكراك تدمع
إذا أنتِ لم تبكي عليّ جِنازةً ... لديكِ ، فلا تبكي غداً حين أرفع

فبلغتها الابيات ، فجزعت جزعاً شديداً ، وبكت بكاء شديداً . ثم خرجت اليه ليلاً على موعد ، فاعتذرت وقالت : إنما أبقي عليك وأخشى ان تقتل ، فاني اتحاماك لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا ،

---

(١) الآية : العلامة .

وودّعته وانصرفت .

وبلغه ان اهلها قالوا لها : انه عليلٌ لما به ، وإنه سيموت في سفره هـــذا . فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما اراه الا كاذباً فيما يدّعي ومتعللاً لا عليلاً ، فبلغه ذلك فقال :

تكاد بـــلاد الله يا امّ مَعْمَرٍ بما رَحبَت ، يوماً ، عليّ تضيق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها فقطّع حبل الوصل ، وهو وثيق
هل الصبر إلا ان أصَدّ فلا ارى بارضك إلا ان يكون طريق

ثم اتى قومه ، فاقتطع قطعـــة من الابل واعلم اباه انه يريد المدينة ليبيعها ، ويمتار [1] لأهله بثمنها . فعرف ابوه انه يريد لبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك فلم يقبل منه ، واخذ إبله وقدم المدينة .

فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منهـــا ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : اذا كان غدٌ فأتني في دار كثيّر بن الصلت فاقبض الثمن . قال نعم . ومضى زوج لبنى اليها فقال لها : اني ابتعت ناقة من رجل من اهل البادية ، وهو يأتينـا غداً لقبض ثمنها ، فأعدّي له طعاماً ، ففعلت .

فلما كان من الغـد جاء قيس فصوّت بالخادم : قولي لسيدك ، صاحب الناقة بالباب . فعرَفتْ لبنى نغمته فلم تقـل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له ادخل . فدخل فجلس . فقالت لبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، مالي اراك اشعثَ اغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لهـا : هكذا تكون حال من فارق الأحبّة واختار الموت

---

(١) امتار لعياله : أتاهم بالميرة وهي الطعام .

على الحياة ، وبكى .

فقالت لها لبنى : قولي له حدّثنا حديثك . فلما ابتدأ يحدّث به كشفت الحجاب وقالت : حسبك ! قد عرفنا حديثك ! واسبلت الحجاب . فبُهت ساعة لا يتكلم ، ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها : ويحك ! ما قصتك ؟ارجع اقبض ثمن ناقتك ، وان شئت زدناك . فلم يكلمه وخرج فاغترز [1] في رحله ومضى .

وقالت لبنى لزوجها : ويحك ! هذا قيس بن ذريح ، فما حملك على ما فعلت به ؟ قال : ما عرفته .

وجعل قيس يبكي فى طريقه ، ويندب نفسه ، ويوبخها على فعله ثم قال :

اتبكي على لبنى وانت تركتها ... وانت عليها بالملا انت اقدرُ
فان تكن الدنيا بلبني تقلبت ... عليّ فللدنيا بطون وأظهُرُ
لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللكفّ مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان رِيّ بريقها ... وللمرح المختال خمر ومسكر !

وعاد الى قومه بعد رؤيته إياها وقد انكر نفسه ، وأسف ، ولحقه امرٌ عظيم . فانكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ، ومرض مرضاً شديداً أشرف على الموت . فدخل اليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله فقال : ويحكم ! أتروني أمرضت نفسي او وجدت لها سلوة بعد اليأس فاخترت الهمّ والبلاء ، أو لي في ذلك صنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به .

---

(١) اغترز في : دخل .

فجعل ابوه يبكي ويدعو له بالفرج والسلوة فقال قيس :

لقد عذبتَني يا حبّ لبنى فقَعْ إمـا بموت او حياةِ
فأنّ الموت أرْوَحُ من حياة تدوم على التباعد والشتاتِ
وقال الاقربون : تعزّ عنها فقلت لهم : إذن حانت وفاتي

عروة وعفراء *

●

هلك حزام وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمه عِقال ، وكانت عفراء تِرباً [1] لعروة ، يلعبان جميعاً ، ويكونان معاً ؛ حتى تألّف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً . وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلفهما : أبشر فان عفراء امرأتك ان شاء الله !

فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء ، ولحق عُروة بالرجال فاتى عروة عمةٌ له يقال لها هند ، وقال لها في بعض ما يقول : يا عمّة ؛ اني لمكلّمكِ ، واني منك لمستحيٍ ، ولكن لم افعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما انا فيه .

فذهبت عمته الى اخيها ، فقالت له : يا اخي ؛ قد اتيتك في

(*) هو عروة بن حزام بن مالك ، شاعر من شعراء الاسلام الذين اشتهروا بالعشق والغزل قيل : انه اول عاشق مات بالهجر من العذريين. ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب . مات سنة ٣٠ هـ ، ودفن بوادي القرى قرب المدينة .

(١) الترب : من ولد معك .

حاجة احبّ ان تُحسن بها ، فان الله يأجرك لصلة رحمك بي ،فقال لها : قولي، فلن تسألي حاجة الا اجبتكِ إليها . قالت تزوّج عروة ابن اخيك بابنتك عفراء . فقال: ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يُرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة . ولكنه ليس بذي مال ، وليست عليه عجـــلة .

فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون ، وكانت امهـــا سيئة الرأي فيه ، تريد لابنتها ذا مال ووفر ، وكانت تُعرضة لذلك كمالاً وجمالاً .

فلما تكاملت سنه وبلغ اُشده ، عرف ان رجلاً من قومـــه ذا يسار ومال كثير يخطبها . فاتى عمه فقال : يا عمّ ، قـد عرفتَ حقي وقرابتي ، وإني ولدُك وربّيتُ في حِجرِكَ ، وقد بلغني ان رجـلاً خطب عفراء ، فأن أسعفتَه بطلبته قتلتني وسفكتَ دمي ؛ فأنشدُك اللهَ ورحمي وحقي ! فرقّ له، وقال: يا بني ، أنت معدِمٌ ، وحالنا قريبة من حالك ، ولست تُخرِجها الى سواك ، وأمها قـد أبت ان تزوجها الا بمهرغالٍ .

فضرب في الارض يبتغي الرزق ، ثم جـاء الى امها فألطفَها [1] وداراها فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر ، وبعد أن يسوق شطره إليها .فوعدها بذلك ، وعلم انه لا تنفعه قرابة ولا غيرها الا المال الذي يطلبونه . فعمل على قصد ابن عم له موسر ، وكان مقيماً بالريّ ، فجاء الى عمه وامرأته ، فأخبرهما بعزمه ، فصوّباه ووعداه

---

(١) الطفها : برها .

الا يحدثا حدثاً حتى يعود .

وصار في ليلة رحيله الى عفراء ، فجلس عندها هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا ، ثم ودّعها وودع الحي ، وشد على راحلته ، وصحبه في طريقه فتيان كانا يألفانه . وكان في طول سفره ساهماً : يكلمانه فلا يفهم ؛ فكره في عفراء حتى يُردّ عليه القول مراراً .

وسار الى ان قدم على ابن عمه ،فلقيه وعرفه حاله وما قدم له ؛ فوصله وكساه وأعطاه مائة من الابل فانصرف بها الى اهله .

وقد كان رجلٌ من أهل الشام من انساب بني امية نزل في حي عفراء ، فنحر ووهب وأطعم ، وكان ذا مال ، فرأى عفراء ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فاعجبته وخطبها الى ابيها ، فاعتذر اليه وقال : قد سميتها الى ابن اخ لي يعدلها عندي، وما اليها لغيره سبيل . فقال له : اني أرغّبك في المهر ، قال: لا حاجة لي بذلك،فعدل الى أمها فوافق عندها قبولاً لبذله، ورغبت في ماله، فأجابته ووعدته ، وجاءت الى عِقال وقالت : ايّ خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه ، وقد جاء الغنى يطرق عليها بابها ؟ والله ما تدري أعروة حيٌ ام ميت ؟ وهل ينقلب اليك بخير ام لا ؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ، ورزقاً سنيّاً . فلم تزل به حتى قال لها : فأن عاد لي خاطباً أجبته .

فوجهت اليه :انْ عُد اليه خاطباً. فلما كان من غدٍ نحر جزراً عدة ، واطعم ووهب ، وجمع الحي معه على طعامه ، وفيهم ابو عفراء . فلما طعموا اعاد القول في الخطبة ،فأجابه وزوّجه ،

وساق اليه المهر ، وحوّلت اليه عفراء وقالت :

يا عروَ ان الحيّ قد نقضوا عهد الاله وحاولوا الغدرا

ثم إنه تزوّجها ، واقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتحل بها الى الشام ، وعمد ابوها الى قبر عتيق فجـــدده وسوّاه ، وسأل الحي كتمان امرهـــا .

وقدم عروة بعد ايام ، فنعاهـا ابوها اليه وذهب به الى ذلك القبر . فمكث يختلف اليه اياماً وهو مضنى هالك ، حتى جاءته جارية من جواري الحي فأخبرته الخبر . فتركهم وركب بعض إبله واخذ معه زاداً ونفقة ، ورحل الى الشام فقـدمها ، وسأل عن الرجل ، فأخبر به ودُلّ عليه ، فقصده وانتسب اليه في عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته ، فمكث اياماً حتى أنسوا به .

ثم قال لجـــارية لهم : هل لكِ في يد تولينيها ؟ قالت : نعم ، قال : تدفعين خاتمي هـذا الى مولاتك ، فقالت : سوءةً لك ! اما تستحيي لهذا القول ! فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها ، وقال لها : ويحكِ ! هي والله بنت عمي ، وما احد منا إلا وهو اعز على صاحبه من الناس ، فاطرحي هذا الخاتم في صحنهـا ، فأن انكرتْ عليك فقولي لها : اصطبح ضيفك قبلك ، ولعله سقط منه !

فرقّت الجارية وفعلت ما امرها به ، فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته ، فشهقت ثم قالت : اصدقيني الخبر . فصدقتها . فلما جاء زوجها قالت له : أتدري من ضيفك هذا ؟ قال نعم . فلان ابن فلان (للنسب الذي أنتسبه له عروة) فقالت : كلا ، والله بل هو عروة بن حزام ابن عمّي ، وقد كتمك نفسَه حياءً منك .

فبعث اليه فدعاه ، وعاتبه على كتمانه نفسَه إياه ، وقال له : بالرحب والسعة ، نشدتك اللهَ إن رِمْتَ [1] هـذا المكان أبداً . وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان ، واوصى خادماً له بالاستماع عليهما واعادة ما تسمّعه منهما عليه .

فلما خَلَوَا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى ، وهو يبكي احرّ بكاء ، ثم أتته بشراب ، وسألته ان يشربه فقال : والله ما دخل في جوفي حرام قط ، ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللتُ حَراماً لكنت قد استحللته منكِ ، فانت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني ، وذهبتُ بعدك فما أعيش ، وقد أجمل هذا الرجل الكريم واحسن ، وانا استحيي منه ، ووالله لا اقيم بعد علمه مكاني ، وإني عالم أني راحل الى منيّتي . فبكت وبكى وانصرف .

فلما جاء زوجهـا أخبرته الجارية بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء امنعي ابن عمـك من الخروج ، فقالت : لا يمتنع ، هو والله ، اكرم واشد حياء من ان يقيم بعد ما جرى بينكما . فدعاه وقال له : ياأخي اتقِ الله في نفسك ، فقد عرفتُ خبرك ، وانك ان رحلت تلفت ، ووالله لا امنعك من الاجتماع معها ابداً ، ولئن شئت لأفارقنّها ، ولأنزلنّ عنها لك . فقال له : جزاك الله خيراً ، وأثنى عليه وقال : إنما كان الطمع اليها آفتي ، والآن قد يئست ، وحملت نفسي على الصبر ، فان اليأس يُسلي ، ولي امور لا بد لي من رجوعي اليها ، فان وجدتُ بي قوة على ذلك ، والا عـدت اليكم وزرتكم

---

(١) رام المكان : برحه وتركه . والمقصود لا برحت هذا المكان .

حتى يقضي الله من امري ما يشاء . فزوّدوه واكرموه وشيّعوه ، فانصرف .

فلما رحل عنهم نُكس بعد صلاحه وتماسكه ، وأصابه غشيٌ وخفقان ، فكان كلما اغمي عليه القى على وجهه خماراً لعفراء زوّدته إياه فيُفيق .

ولقيه في الطريق ابن مكحول عرّاف اليمامة ، فرآه وجلس عنده وسأله عما به ، وهل هو خَبل ام جنون ؟ فقال له عروة : ألك علم بالاوجاع ؟ قال : نعم ، فانشأ يقول :

وما بيَ من خبل ولا بي جِنةٌ ... ولكن عمّي يا أخيّ كذوبُ
اقول لعرّاف اليمامة داوني ... فانك ان داويتني لطبيب
فيا كبداً أمست رفاتاً كأنما ... يلذّعها بالموقدات طبيب
عشيةَ لا عفراءُ منك بعيدةٌ ... فتسلو ، ولا عفراء منك قريب
فوالله ، لا أنساك ما هبت الصّبا ... وما عقبتها في الرياح جَنوب
واني لتعروني لذاكراك هِزة ... لها بين جلدي والعظام دبيب

ومن شعره وهو يذكر حكايته :

فيا ليت كل اثنين بينهما هوىً ... من الناس والأنعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لُبانة ... ويرعاهما ربي فلا يُريَان
هوى ناقتي خَلفي وقُدّامي الهوى ... وإني وإياها لمختلفان
تحمّلتُ من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاةً عُلّقت بجناحها ... على كبدي من شدّة الخفقان
وقد تركتني لا أعي لمحدّثٍ ... حديثاً ، وان ناجيته ونجاني
جعلت لعرّاف اليمامة حكمه ... وعرّاف نجدٍ إن هما شفياني

فقالا: نعم تشفى من الداء كله وقاما مع العوّاد يبتدران
فما تركا من رُقية يعلمانها ولا شربة الا وقد سقياني
وقالا: شفاك الله، والله ما لنا بما ضمّنت منك الضلوع يدان
أحبّ ابنة العذريّ حباً وان نأت ودانيت فيها غيرَ ما تُمتدان
فيا ربِّ انت المستعان على الذي تحمّلت من عفراء منذ زمان

ثم توفي، وهو راجع بالشام، ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها: قد كان من خبر ابن عمي ما بلغك، ووالله ما عرفت منه قط الا الحسن، وقد مات فيّ وبسببي، ولا بد لي من أن أندبه فأقيم مأتماً عليه قال: افعلي. فما زالت تندبه ثلاثاً حتى توفيت في اليوم الرابع. وبلغ معاويةَ بن ابي سفيانَ خبرهما فقال: لو علمت بحال هذين الحرّين الكريمين لجمعت بينهما.

شهيداً هوى...

●

حُكي ان مسروراً الخادم قال : أرقَ امير المؤمنين ، هارون الرشيد ، [1] ليلة أرقاً شديداً فقال لي : يا مسرور : من بالباب من الشعراء ؟ فخرجت إلى الدهليز ، فوجدت جميل بن معمر العذري[1] فقلت له : أجب امير المؤمنين . فقال : سمعاً وطاعة . فدخلت ودخل معي الى ان صار بين يدي هارون الرشيد فسلّم بسلام الخلافة ، فردّ عليه السلام ، وامره بالجلوس ثم قال له الرشيد : يا جميل : أعندك شيء من الأحاديث العجيبة ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . ايما احبُ اليك: ما عاينتُه ورأيته او ما سمعته ووعيته ؟ فقال : حدّثني بما عاينته ورأيته ، قال : قال نعم يا امير المؤمنين ، أقبِل عليّ بكلّك واصغِ اليّ باذنيك . فعمدَ الرشيد الى مخدّة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوةٍ بريش النعام ، فجعلها

---

(١) هارون الرشيد : الخليفة العباسي المتوفي سنة ١٩٣ هـ وجميل الشاعر الأموي المتوفى سنة ٨٢ هـ . ولا يخفى على الملاحظ أن جميلاً لم يدرك الرشيد، ولكن القصة جرت بذلك .

تحت فخذيه ثم مكّن منها مرفقيه وقال: هلمّ بحديثك يا جميل. فقال:

إعلم يا امير المؤمنين، اني كنت مفتوناً بفتاة، محباً لهـا، وكنت أتردد اليها اذ هي سُؤلي وبغيتي من الدنيا. ثم ان اهلهـا رحلوا بها لقلة المرعى، فاقمت مدة لم أرها. ثم ان الشوق أقلقني وجذبني اليها فحدّثتني نفسي بالمسير اليها. فلما كانت ليلة من الليالي هزّني الشوق اليها، فقمت وشددت رحلي على ناقتي وتعمّمت بعمامتي ولبست اطماري وتقلدت بسيفي واعتقلت رمحي وركبت ناقتي وخرجت طالباً لها، وكنت اسرع في المسير. فسرت ذات ليلة، وكانت ليلة مظلمة، مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية، وصعود الجبال، فأسمع زئير الآساد، وعواء الذئاب، واصوات الوحوش من كل جانب، وقد ذهل عقلي وطاش لبّي، ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى.

فبينما انا اسير على هذا الحال إذ غلبني النوم، فأخذت بي الناقة على غير الطريق التي كنت فيها، وغلب عليّ النوم واذا انا بشيء لطم رأسي، فانتبهت فزعاً، مرعوبا واذا باشجار وانهار وأطيار على تلك الاغصان تغرد بلغاتها والحانها، واشجار ذلك المرج مشتبك بعضها ببعض، فنزلت عن ناقتي، واخذت بزمامها في يدي، ولم أزل اتلطف في الخلاص الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة، فأصلحت كُورها واستويت راكباً على ظهرها ولا ادري الى اين اذهب، ولا الى ايّ مكان تسوقني الاقدار. فمددت نظري في تلك البرية، فلاحت لي نار في صدرها، فحرّكت ناقتي وصرت متوجهاً اليها حتى وصلت الى تلك النار فقربت منها وتأملت

واذا بخباء مضروب ، ورمح مركوز، ودابة قائمة ، وخيل واقفة، وإبل سائمة [1] . فقلت في نفسي : يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فاني لا ارى في تلك البرية سواه. ثم تقدمت الى جهة الخباء وقلت السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته. فخرج اليّ من الخباء غلام من ابناء التسع عشرة سنة، فكأنه البدر اذا أشرق ، والشجاعة بين عينيه فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب ، إني اظنك ضالاً عن الطريق . فقلت : الامر كذلك أرشدني يرحمك الله . فقال : يا اخا العرب ، إن بلدنا هذه مَسبعة ، وهذه الليلة مظلمة موحشة ، شديدة الظلمة والبرد ، ولا آمن عليك من الوحوش ان تفترسك ، فانزل عندي على الرحب والسعة ، فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق . فنزلت عن ناقتي وعقلتها [2] بفضل زمامها ونزعت ما كان عليّ من الثياب وتخففت ، وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها وأججها ثم دخل الخباء واخرج أبزاراً [3] ناعمة وملحاً طيباً واقبل يقطع من ذلك اللحم قطعاً ويشويها على النار ويعطيني ويتنهد ساعة ويبكي اخرى، ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديداً وانشد يقول هذه الابيات :

لم يبق إلا نفَس هافتُ ... ومقلة ، إنسانها باهتُ
لم يبق في اعضائه مفصل ... الا ، وفيه سقمٌ ثابتُ
ودمعه جار واحشاؤه ... توقد ، الا انه ساكت
تبكي له اعداؤه رحمةً ... يا ويح من يرحمه الشامت !

---

(١) سارحة (٢) عقلتها: ربطتها .
(٢) الأبزار : التوابل وهي ما يطيب به الغذاء .

قال جميل فعلمت عند ذلك يا امير المؤمنين ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى ، فقلت في نفسي هل اسأله ؟ ثم راجعت نفسي وقلت : كيف اتهجم عليه في السؤال ، وانا في منزله ؟ فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب كفايتي . فلما فرغنا من الأكل ، قام الشاب ودخل الخباء ، واخرج طستا نظيفاً وابريقاً حسناً ومنديلاً من الحرير ، واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر ، وقمقما ممتلئاً من ماء الورد الممسك ، فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي : لم اعرف الظرف في البادية . ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة . ثم قام ودخل الخباء وفصل بيني وبينه بفاصل من الديباج الاخضر ، فعند ذلك نزعت ما عليّ من الثياب ، وبتّ ليلة لم أبت في عمري مثلها .

كل ذلك وانا مفتكر في امر هذا الشاب ، الى ان جَن الليل [1] ونامت العيون ، فلم اشعر إلا بصوت خفيّ لم اسمع ألطف منه ولا ارق حاشية . فرفعت الفاصل المضروب بيننا ، واذا انا بصبيّة لم أرَ احسن منها وجهاً ، وهي في جانبه ، وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما للتلاقي ، فقلت : يا لله! العجبَ من هذا الشخص الثاني ! وحين دخلت هذا البيت لم أرَ فيه غير هذا الفتى وما عنده احد . ثم قلت في نفسي : لا شك ان هذه من بنات الجن تهوى هذا الغلام ، ثم أمعنت النظر فيها فاذا هي أنسية عربية اذا اسفرت عن وجهها تخجل الشمس المضيئة . وقد اضاء الخباء من نور وجهها . فلما تحققت انها محبوبته تذكرت غيرة

(١) جن الليل : دخل .

المحب فأرخيت الستر وغطيت وجهي ونمت . فلما اصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان عليّ من الفرض ثم قلت له : يا أخا العرب ، هل لك ان ترشدني الى الطريق ، وقد تفضلت عليّ ؟ فنظر اليّ وقال : على رِسلك[1] يا وجه العرب ، ان الضيافة ثلاثة ايام . فلما كان في اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه . فقال : اما نسبي فانا من بني عُذرة ، واما اسمي فانا فلان ابن فلان ، وعمي فلان فاذا هو ابن عمي ، يا امير المؤمنين ، وهو من اشرف بيت من بني عذرة . فقلت :

يا ابن العم ، ما حملك على ما أراه منك من الانفراد في هذه البرية ؟ وكيف تركت نعمتك ونعمة آبائك ، وكيف تركت عبيدك وإماءك ، وانفردت بنفسك في هذا المكان ؟ فلما سمع ، يا أمير المؤمنين ، كلامي تغرغرت عيناه بالدموع والبكاء ، ثم قال : يا ابن العم إني كنت محباً لابنة عمي ، مفتوناً بها ، هائماً بحبها ، مجنوناً في هواها ، لا أطيق الفراق عنها ، فخطبتها من عمي ، فأبى وزوجها لرجل من بني عذرة ... فلما بعُدت عني واحتجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على ترك أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي ، وانفردت بهذا البيت في هذه البرية ، وألفت وحدتي . فقلت وأين بيوتهم ؟ قال : هي قرية في ذروة هذا الجبل ، وهي كل ليلة ، عند نوم العيون ، وهدوء الليل ، تنسلّ من الحي سراً بحيث لا يشعر بها احد فاقضي منها بالحديث وطراً ، وتقضي هي كذلك . وها انا مقيم على ذلك الحال ليقضي الله أمراً

(١) على رسلك : على مهلك

كان مفعولا، او يأتيني الامر على رغم الحاسدين، او يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين .

ثم قال جميل : فلما اخبرني الغلام، يا امير المؤمنين ، غمني امره وصرت من ذلك حيران لما اصابني من الغيرة ، فقلت له: يا ابن العم وهل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك، وفيها ، ان شاء الله ، عين الصلاح، وسبيل الرشد والنجاح، وبها يزيل الله عنك الذي تخشاه ؟فقال الغلام :قل لي يا ابن العم. فقلت له : اذا كان الليل ، وجاءت الجارية، فاطرحها على ناقتي، فانها سريعة الرواح واركب انت جوادك، وانا اركب بعض هذه النياق واسير بكما الليلة جميعها، فما يصبح الصباح، الا وقد قطعت بكما براري وقفاراً، وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك . وارض الله واسعة فضاها، وانا مساعدك ما حييت، بروحي ومالي وسيفي .

فلما سمع ذلك، قال : يا ابن العم حتى اشاورها في ذلك، فانها عاقلة لبيبة، بصيرة بالامور . قال جميل :فلما جن الليل ، وحان وقت مجيئها، وهو ينتظرها في الوقت المعلوم، ابطأت عن عادتها ، فرأيت الفتى خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وينشق ريّاها ...

ثم دخل الخباء وقعد ساعة ، وهو يبكي ، ثم قال يا ابن العم، ان لابنة عمي في هذه الليلة نبأ . وقد حدث لها حادث او عاقها عني عائق . ثم قال لي كن مكانك حتى آتيك بالخبر . ثم اخذ سيفه وترسه، وغاب عني ساعة من الليل ، ثم اقبل وعلى يده شيء يحمله، ثم صاح عليّ، فاسرعت اليه . فقال يا ابن العم اتدري

ما الخبر ؟ قلت لا . فقال :لقد فجعت بابنة عمي هذه الليلة لانها قد توجهت الينا، فتعرّض لها في طريقها الينا اسـد فافترسها ولم يبق منها الا ما ترى .

ثم طرح ما كان على يده، فاذا هو مشاش[1] الجارية ، وما فضل من عظامها ، ثم بكى بكاء شديداً ، ورمى القوس من يده واخذ كيساً على يده، ثم قال : لا تبرح الى ان آتيك، ان شاء الله تعالى. فسار فغاب عني ساعة ثم عاد ، وبيده رأس اسد ، فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيتـــه به فغسل فم الاسد وجعل يقبّله ويبكي وزاد حزنه عليها وجعل ينشد هذه الابيات :

الا ايهـــا الليث المغرّ بنفسه هلكت وقدهيجت لي بعدها حزنا
وصيّرتني فرداً وقد كنت إلفها وصيرت بطن الارض قبراً لها رهنا
اقول لدهر ساءني بفراقهـــا معاذاً اليها ان تريني لهـا خدنا

ثم قال : يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك ان تحفظ وصيتي . فستراني الساعة ميتاً بين يديك فاذا كان ذلك ، فغسّلني وكفّني انا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمي في هذا الثوب وادفنا جميعاً في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين :

كنا على ظهرها، والعيش في رغد والشمل مجتمع والدار والوطنُ
ففرّق الدهر والتصريف إلفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفن

ثم بكى بكاء شديداً ، ثم دخل الخباء ، وغاب عني ساعة وخرج وصار يتنهد ويصيح ، ثم شهق شهقة ، ففارق الدنيا .

فلما رأيت ذلك منه عظم عليّ وكبر عندي حتى كدت الحق به

(١) المشاش : العظم .

من شدة حزني عليه .ثم تقدمت اليه فأضجعته وفعلت به ماامرني به من العمل و كفنتهما جميعاً ودفنتهما في قبر واحد ، وأقمت عنـــد قبرهما ثلاثة ايام ، ثم ارتحلت واقمت سنتين اتردد الى زيارتهما . هذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين.

فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليـــه واجازه جائزة حسنة .

القصص الاخباري

الحكايات الغنائية والاجتماعية

١ ـ يوم العقيق
٢ ـ إسحق الموصلي
٣ ـ أم جعفر تنوح
٤ ـ اعرابي في عرس
٥ ـ امين
٦ ـ ابليس في ضيافة ابراهيم الموصلي

يوم العقيق

•

كان ابن عائشة [1] من احسن الناس غناء ، وانبههم فيـــه ، واضيقهم خُلقاً : اذا قيل له غنِّ ، يقول: اوَ لمثلي يقال هذا؟علي عتق رقبة ان غنيت يومي هذا ! فان غنى وقيل : احسنت ، قال : أ لمثلي يقال احسنت ؟ عليّ عتق رقبة ان غنيت سائرَ يومي هذا .

فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق ، فجاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة مخبّأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل الا خرج يُبصره. وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني ، وهو معتجر [2] بفضل ردائه ، فنظر اليه الحسن بن الحسن بن عـلي بن ابي طالب – وكان فيمن خرج الى العقيق – وبين يديه اسودان كأنهما ساريتان يمشيان بين يديه امام دابته ، فقال لهما : اذهبا الى الرجل المعتجر بفضل ردائه فخذا بضَبْعيه [3] ، فان فعل ما آمره به ، والا فاقذفا به في العقيق.

---

(١) هو محمد بن عائشة : من المقدمين في صناعة الغناء ، ووضع الألحان في العصر الأموي ،توفي نحو سنة ١٠٠ هـ.

(٢) معتجر : ملتف رأسه بالعمامة .

(٣) اخذا بضبعيه : اي بعضديه .

فمضيا والحسن يقفوهما ، فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بضَبعَيه فقال : من هذا ؟ فقال له الحسن : انا هذا يا ابن عائشة ! قال : لبيك وَسعدَيك ! وبأبي انت وامي ! قال : اسمع مني ما اقول ،واعلم انك مأسور في ايديهما ، فغنّ مائة صوت او يطرحاك في العقيق،وان لم يفعلا ذلك لأقطعنّ ايديهما !

فصاح ابن عائشة : يا ويـــلاه ! واعظيمَ مصيبتاه ! قال : دع صياحك ، وخذ فيما ينفعنا .قال : اقترح ، واقم من يحصي ،واقبل يغني ، فترك الناس العقيق ، واقبلوا عليه ، فلما تمت اصواته مائةً كبر الناس بلسان واحد تكبيرة واحدة، ارتجت لها اقطار المدينة، وقالوا للحسن : صلى الله على روحك حياً وميتاً ! فما اجتمع لاهل المدينة سرور قط الا بكم اهلَ البيت .

قال له الحسن : إنما فعلت هـــذا بك يا ابن عائشة لأخلاقك الشكسة. قال له ابن عائشة : واللهِ ما مرّت عليّ مصيبة اعظم منها!

فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له : ما اشد ما مر عليك ؟ قال : يومُ العقيق .

إسحق الموصلي

●

حـــدّث إسحق [1] الموصلي قال : غدوت يوماً وانا ضجر من ملازمة دار الخلافـــة والخدمة فيها ، فخرجت وركبت بَكرة [2] وعزمت على ان اطوف الصحراء واتفرّج . فقلت لغلماني : إن جاء رسول الخليفة او غيره فعرّفوه اني بكّرت في بعض مهماتي ، وانـكم لا تعرفون اين توجّهت .

ومضيت وطُفْتُ ما بدا لي ، ثم عدت وقد حَميَ النهار ، فوقفت في الشارع المعروف بالمخرّم [3] في فِناء ثخين الظل ، وجناح رحب على الطريق لأستريح .

فلم البث ان جاء خادم يقود حماراً فارهاً [4] عليه جارية راكبة ،

---

(١) إسحق الموصلي : من اشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، وراوية للشعر وحافظاً للاخبار . توفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) البكرة : الفتية من الابل .

(٣) المخرم : محلة ببغداد .

٤) فاره : نشيط ، صفة للبرذون والبغل والحمار .

تحتها منديل دبيقي [1] ، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده . ورأيت لها قواماً حسناً وشمائل حسنة .

فخرصت [2] عليها انها مغنية ، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليهـــا .

ثم لم البث ان جاء رجـلان شابان ، فاستأذنا فأذن لهما ، فنزلا ونزلت معهما ودخلت ، فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار اني معهما ، فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ، وخرجت الجارية وفي يدهـــا عود فغنّت وشربنا . وقمت قومة . وسأل صاحب المنزل الرجلين عني ، فأخبراه انهما لا يعرفاني ، فقال : هـــذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته ، وجئت فجلست . وغنت الجارية في لحن لي ، فأدته اداء صالحاً ، ثم غنت اصواتاً شتى ، وغنت في اضعافها من صنعتي :

الطلول الدّوارسُ فارقتهـا الأوانسُ
أوحشت بعد اهلهـا فهي قفرٌ بسابس

فكان امرها فيه اصلح منه في الأول ، ثم غنّت اصواتاً من القديم والحديث ، وغنت في اثنائها من صنعتي :

قل لمن صدّ عاتبـا ونأى عنك جانبـا
قد بلغتَ الذي اردْ تَ وإن كنتَ لاعبا

فكان اصلح ما غنته . فاستعدته منها لأصححه لها . فاقبل عليّ

---

(١) دبيقي : منسوب الى دبيق ، وهي من أعمال مصر ، وتنسب اليها الثياب.

٢ خرصت : ظننت.

رجل من الرجلين . وقال : ما رأيت طفيلياً اصفق [1] وجهاً منك ! لم ترضَ بالتطفيل حتى اقترحت ، وهذا غاية المثل : « طفيليّ مقترح !» ؛ فأطرقت ولم أجبه . وجعل صاحبه يكفّه عني ، فلا يكفّ . ثم قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً ، فاخذتُ عودَ الجارية ، ثم اصلحته اصلاحاً محكماً ، وعدت الى موضعي فصليت . وعادوا ثم اخذ ذلك الرجل يعنفني وانا صامت .

اسحق الموصلي

ثم اخذت الجارية العود فجسّته وانكرت حاله ، وقالت : من مسّ عودي ؟ قالوا : ما مسّه احد ، قالت : بلى واللهِ لقد مسه

(١) الوجه الصفيق : الوجه الوقح ، لا حياء له .

حاذق متقدم واصلحه أصلاحَ متمكنٍ من صناعته ، فقلت لها : انا أصلحته . قالت : فبالله خذه واضرب به ؛ فاخذت وضربت بـــه مبدأ ظريفاً عجيباً صعباً فيه نقرات متحركة. فما بقي احد منهم الا وَثب على قدميه وجلس بين يديّ .

ثم قالوا : بالله يا سيدنا: أتغني ؟ فقلت : نعم وأعرّفكم نفسي انا إسحق بن ابراهيم الموصلي ،ووالله اني لأتيهُ على الخليفة اذا طابني وانتم تُسمعونني ما اكره منذ اليوم لأنيّ نزلت بكم !فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد [1] المَقيت الغثّ. فقال له صاحبه : من هذا حذرت عليك . فأخـذ يعتذر فقلت : والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرج بيده فاخرجوه وعـــادوا .

فبدأتُ وغنّيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ، فقال لي الرجل : هل لك في خصلة ؟ قلت : ما هي ؟ قال تقيم عنـــدي شهراً والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي. قلت :افعل. فاقمت عنـــده ثلاثين يوماً لا يدري احـد اين انا ، والمامون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبرا .

فلما كان بعد ثلاثين يوماً اسلم اليّ الجارية والحمـــار والخادم فجئت بذلك الى مـــنزلي ، وركبت الى المامون من وقتي ، فلما رآني قال : إسحق ! ويحك ! اين تكون ؟ فأخبرته بخبري، فقال: عليّ بالرجل الساعةَ ،فدللتهم على بيتـه فاحضِر . فسأله المامون عن القصة فاخبره. فقال له : انت رجل ذو مروة ، وسبيلك ان تعاون

(١) المعربد او العربيد هو الذي يسيء خلقه على الشراب ويؤذي أصحابه.

عليها . وامر له بمائة الف درهم، وامر لي بخمسين الف درهم، وقال: احضرني الجارية . فاحضرتها فغنّته . فقال لي : قد جعلت لها نوبة [1] في كل يوم ثلاثاء تغنيني وراء الستارة مع الجواري . وامر لهـــا بخمسين الف درهم فربحت والله بتلك الركبة وأربحت !

(١) النوبة : الفرصة .

ام جعفر تنوح على الرشيد

•

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر[1]

قد لعمري بتّ ليلي ... كأخي الداء الوجيعِ
ونجيّ الهمّ مني ... بات ادنى من ضلوعي
كلما ابصرت ربعاً ... دارساً فاضت دموعي
مقفراً من سيّدٍ كا ... ن لنا غير مُضيع

فلما سمعته منها استحسنته واشتهيته ، ولهجت به ، فكنت أترنم به كثيراً ، فسمع ذلك مني ابي ، فقال ما تصنع بهذا ؟ قلت شعرٌ قاله الاحوص وصنعه معبد لسلاّمة ، وناحت به سلاّمة على يزيد .

ثم ضرب الدهر ، فلما مات الرشيد اذا رسول ام جعفر قد وافاني وامرني بالحضور . فسرت اليها ، فبعثت إليّ : إني قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه ، فتعال

(١) الشعر للاحوص والنوح لمعبد ، وكان صنعه لسلامة المغنية ، وناحت به سلامة على يزيد بن عبد الملك .

الساعة أبياتاً رقيقة ، واصنعهنّ صنعة حسنة حتى انوح بهن .

فاردت نفسي على ان اقول شيئاً فما حضرني ، وجعلت ترسل إليّ تحثني، فذكرت هذا النوح ، فأريت اني اصنع شيئاً ، ثم قلت قد حضرني القول ،وقد صنعت فيه ماامرت، فبعثت إلي بكُنَيْزة وقالت طارحها حتى تطارحنيه، فاخذت كنيزة العود ورددته عليها حتى أخذته، ثم دخلت فطارحته ام جعفر ، فبعثت إلي بمائة الف درهم ومائة ثوب !

اعرابي في عرس

•

حدّث الفضل بن العباس الهاشمي عن ابيه قال : كان ناهض ابن ثومة الكلابي يفد على جدي ثُمَ ، فيمدحه ، ويصله جدي وغيره. وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش . وكان طيب الحديث .

فحدثه يوماً انهم انتجعوا ناحية الشام . فقصد صديقاً له من وُلد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فاذا نزل نواحيها اتاه فمدحه وكان براً به .

قال فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبدالله الهلالي فرأيت دوراً متباينة وخِصاصاً[1] قد ضُم بعضها الى بعض . واذا بها ناس كثير: مقبلون ومدبرون ، عليهم ثياب تحكي الوان الزهر. فقلت في نفسي : هذا احد العيدين الاضحى او الفطر. ثم ثاب[2] اليّ ما عزب[3] عن عقلي فقلت : خرجت من اهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي ارى ؟

---

(١) الخصاص : جمع الخص وهو البيت من القصب . (٢) ثاب الي : رجع الي . (٣) عزب عن : ابتعد .

فبينا انا واقف متعجب اتاني رجل فاخذ بيدي فادخلني داراً قوراء[1] وادخلني منها بيتاً قد نُجد في وجهه فرش ومُهدت وعليها شاب ينال فروعُ شعره منكبيه ، والناس حوله سماطان[2] فقلت في نفسي :هذا الامير الذي حُكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه . فقلت وانا ماثل بين يديه : السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته .فجذب رجلٌ يدي وقال : اجلس فان هذا ليس بامير . قلت : فمن هو ؟ قال عروس[3] .فقلت واثكلَ اماه ! لرب عروسٍ رأيته بالبادية اهون على اهله ! فلم انشَب ان دخل رجال يحملون آنات[4] مدورات.اما ما خف منها فيُحمل حملاً واما ما كبر وثقل فيدحرج .فوضع ذلك امامنا ، وتحلّق عليه القوم حلقاً.ثم اتينا بخرق بِيضٍ فالقيت بين ايدينا.فظننتها ثياباً وهممت ان اسأل القوم منها خرقاً اقطعها قميصا . وذلك اني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سَدى ولا لحمة[5].فلما بسطه القوم بين ايديهم اذ هو يتمزق سريعاً . واذا هو ، فيما زعموا ، صنف من الخبز لا اعرفه . ثم اتينا بطعام كثير بين حلو وحامض ، وحار وبارد .فاكثرت منه وانا لا اعلم ما في عقبه من التخم والبشم . ثم اتينا بشراب احمر في شن[6] . فقلت : لا حاجة لي فيه ، فاني اخاف ان يقتلني . وكان الى جنبي رجل ناصح لي ،احسن الله جزاءه ، فأنه كان ينصح لي من بين اهل المجلس . فقال : يا اعرابي انك قد اكثرت من الطعام وان

---

(١) قوراء : واسعة . (٢) السماط : الصف . (٣) العروس : للمذكر والمؤنث . (٤) آنات : جمع اناء غير قياسي.(٥) السدى : خيوط الثوب طولا واللحمة خيوط الثوب عرضاً . (٦) الشن : القربة .

شربت الماء هما [1] بطنك . فلما ذكر البطن تذكرت شيئا اوصاني به أبي ، والاشياخ من اهلي قالوا : لا تزال حياً ما زال بطنك شديداً ، فأذا اختلف فاوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت اكثر منه فلا أملّ شربه . فتداخاني من ذلك صلف لا اعرفه من نفسي ، وبكاء لا اعرف سببه ولا عهد لي بمثله واقتدار على امر اظن معه اني لو اردت نيل السقف لبلغته ، ولو شأوت الاسد لقتلته . وجعلت التفت الى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم اسنانه وهشم انفه . واهمّ احياناً ان اشتمه .

فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية ، مسنجة الطرفين ، دقيقة الوسط مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً . ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هَنَة سوداء كخرطوم الفيل . فوضعها في فيه وصوّت بها صوتاً ، لم اسمع ، وبيتِ الله ، أعجب منه فاستتمّ بها امرهم . ثم حرّك اصابعه على أحجرة فيها فاخرج أصواتاً ليس كما بدأ ولكنه أتى منها لما حرك اصابعه ، بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه ، علم الله ، ينطق . ثم بدا ثالث كز [2] مَقيت عليه قميص وسخ ومعه مرآتان . فجعل يصفّق بهما بيديه احداهما على الاخرى ، فخالطت بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدأ رابع عليه قميص مصون وسراويل قصيرة وخفان أجذمان ، لا ساق لواحد منهما . فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب . ثم التبط [3] به على الارض . فقلت : معتوه ورب الكعبة . ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي .

(١) هما : سال . (١) الكز : القبيح . (٢) التبط : تمرغ .

ورأيت القوم يحذفونه[1] بالدراهم حذفاً منكرا . ثم أرسل النساء الينا : أن امتعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء . فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده ، فنطقت ورب الكعبة ، واذا هي أحسن قَينة[2] رأيتها قط . وغنى عليها فاطربني حتى استخفني من مجلسي . فوثبت فجلست بين يديه وقلت : بأبي أنت وأمي ! ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها للاعراب وما أراها خُلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البَربَط[3] . فقلت : بأبي أنت وأمي ! فما هذا الخيط الاسفل؟ قال : الزير[4] . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثنى . قلت : فالثالث ؟ قال المثلث . قلت : فالاعلى ؟ قال: البَم[5] . فقلت : آمنت بالله أولا، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً ! ...

قال : فضحك أبي والله حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه . ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ويُطرف به خواصه فيعيده ويضحكون منه .

---

(١) يحذفونه : يرمونه
(٢) القينة : الجارية المغنية
(٣) البربط : العود
(٤) الزير : من اوتار العود
(٥) البم : اغلظ الاوتار

امـــين

قال أحد التجار :

قصدت الحج في بعض الأعوام ، وكانت تجـــارتي عظيمة ، واموالي كثيرة ، وكان في وسطي هميان [1] ، فيه دنانير وجواهر قيّمة ، وكان الهميان من ديباج أسود .

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لأقضي بعض شأني ، فانحـلّ الهميان من وسطي ، وسقط ولم أعلم بذلك إلا بعد ان سرت عن الموضع فراسخَ ، ولكن ذلك لم يكن يؤثر في قلبي لما كنت أحتويه من غنى ، واستخلفت ذلك المال عند الله ؛ اذ كنت في طريقي اليه تعالى .

ولما قضيت حِجتي وعدت ، تتابعت المحن عليّ حتى لم املك شيئاً ! فهربت على وجهي من بلدي . ولما كان بعد سنين من فقري ، أفضيت إلى مكان وزوجي معي ، وما املك في تلك الليلة إلا دانقـــاً [2]

---

(١) الهميان : المنطقة .

(٢) الدانق : سدس الدرهم .

ونصفاً ، وكانت الليلة مَطيرة ، فأويت في بعض القرى إلى خان خراب ، فجاء زوجي المخـــاضُ فتحيرت ، ثم ولدت ، فقالت : يا هذا ، الساعة تخرج روحي ، فاتخذ لي شيئاً أتقوّى به ، فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت الى بدّال [1] فوقفت عليـــه ، فكلمني بعد جهد ، فشرحت له حالي ، فرحمني وأعطاني بتلك القطع حلبة وزيتاً واغلاهما ، وأعارني إناء جعلت ذلك فيه ، وجئت اريد الموضع ، فلما مشيت بعيـــداً وقربت من الخان زلقت رجلي ، وانكسر الاناء وذهب جميع ما فيه ، فورد عـــلى قلبي أمر عظيم ما ورد عليّ مثله قط ! فاقبلت أبكي وأصيح . واذا برجـــل قد أخرج رأسه من شباك في داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكي ؟ ما تدعنا ننام !

فشرحت له القصة ، فقال : يا هـذا ، البكاء كله بسبب دانق ونصف !

قال : فـــداخلني من الغمّ اعظمُ من الغمّ الاول ، فقلت : يا هذا ، والله ما عندي شيء لما ذهب مني ، ولكن بكائي رحمـــة لزوجي ولنفسي ، فان امرأتي تموت الآن جوعـــاً ، ووالله لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا املك من المـــال شيئاً كثيراً ، فذهب مني هميانٌ فيه دنانيرُ وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار ، فما فكرت فيه ، وانت تراني الساعة ابكي بسبب دانق ونصف ، فاسألِ الله السلامة ولا تعايرني فتُبلى بمثل بلواي .

قال : فقال لي : بالله يا رجل ما كانت صفة همبانك ، فاقبلت

---

(١) البدال : بائع الاطعمة .

ابكي ، وقلت : ما ينفعني ما خاطبتني به ، او ما تراه من جهدي [1] وقيامي في المطر حتى تستهزيء بي ايضاً ! وما ينفعني وينفعك من همياني الذي ضاع منذ كذا وكذا !

قال : ومشيت . فاذا بالرجل قد خرج وهو يصيح بي : خذ ياهذا ، فظننته يتصدّق عليّ ، فجئت وقلت له : أي شيء تريد ؟ فقال لي صف همِيانَكَ وقبض عليّ ، فلم أجد للخلاص سبيلاً غير وصفه له ، فوصفته فقال لي : ادخـــلْ ، فدخلتُ ، فقال : أين امرأتك ؟ قلت : في الخان ، فأرسل غلمانه فجاءوا بها ، وأدخلت الى حُرَمه [2] فاصلحوا شأنها واطعموها كل ما تحتاج اليه ، وجاءوني بجبة وقميص وعمامة وسراويل ، وأدخلت الحمام سَحراً ، وطُرح ذلك عليّ ، وأصبحت في عيشة راضية . وقال : أقِمْ عنـــدي أياماً ، فاقمت عشرة أيام ، كان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير وأنا متحير في عظم بِرّه بعد شدة جفائه !

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أي شيء تتصرف ؟ قلت : كنت تاجراً ، قال : فلي غلاّت وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتَشركني ، فقلت : أفعل ، فاخرج لي مائتي دينار فقال : خذها واتجرْ فيها ها هنا ، فقلت : هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن ألزمه ، فلزمته .

فلما كان بعد شهور ربحت فجئته وأخذت حقي وأعطيته حقه ، فقال : اجلس ، فجلست ، فأخرج لي همياني بعينه وقال : اتعرف

---

(١) الجهد : المشقة .

(٢) حرم الرجل : اهله .

هذا ؟ فحين رأيته شهقتُ وأغمي عليّ فما افقت إلا بعد ساعة ! ثم قلت له : يا هذا ، أمَلَكٌ انت أم نبي ! فقال : أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلتـــه ، وطالبتك بالعلامة فاعطيتها أردت أن أعطيك للوقت همیانك ، فخفت أن يُغشى عليك ، فاعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتك أنها هبة ، وإنما أعطيتكها من همیانك ، فخذ همیانك واجعلني في حِلّ ، فشكرته ودعوتُ له .

وأخذت الهميان ورجعت الى بلدي ، فبعت الجوهر وضممت ثمنه الى ما معي وانجرت ، فما مضت إلا سنوات حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالي !

إبليس في ضيافة ابراهيم الموصلي

●

قال ابراهيم بن إسحق الموصلي :

سألت الرشيد ان يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب ، لأخلو فيه بجواريّ واخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم استثقله فالهُ فيه بما شئتَ ، فاقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في اصلاح طعامي وشرابي بما احتجت اليه ، وأمرت بوابي فاغلق الابواب وتقدمت [1] اليه ألا يأذن عليّ لأحد .

فبينا انا في مجلسي والخدم قد حفوا بي وجواريّ يترددن بين يديّ إذ أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه قميصان ناعمان وخفان قصيران ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة [2] وبيده عكازة مقمّعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار ، فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدمت فيه غيظٌ ما تداخلني قط مثله وهممت بطرد بوابي ومن حجبني لأجله ، فسلم عليّ أحسن سلام فرددت عليه ،

(١) تقدمت اليه : امرته .

(٢) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلزق بالرأس .

وامرته بالجلوس فجلس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وايام العرب وأحاديثها واشعارها حتى سلّى ما بي من الغضب ، وظننت ان غلماني تحرّوا مسرتي بادخالهم مثله عليّ لأدبه وظرفه .

فقلت : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا حاجة لي فيه . فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك اليك . فشربت رطلاً وسقيته مثله ، فقال لي يا أبا اسحق ، هل لك ان تغني لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقتَ به عند الخاص والعام ؟ فغاظني قوله ، ثم سهّلت على نفسي امره ، فاخـــذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت ، فقال : أحسنت يا ابراهيم ! فازداد غيظي وقلت ما رضي بمـــا فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنيـه حتى سماني ولم يكنّني ولم يُجمل مخاطبتي ! ثم قال : هل لك ان تزيدنا ؟ فتذمت [1] فأخـــذت العود فغنيت ، فقال : أجـــدت يا ابا إسحق ! فأتمّ حتى نكافئك ونغنيك ، فاخذت العود وتغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياماً تاماً ما تحفظت مثله ، ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره ، لقوله لي : اكافئك ، فطرب وقال : احسنت يا سيدي ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفت عقله في ان يغنيني بحضرتي بعد ماسمعه مني ، فأخذ العود وجسه ، فوالله لخلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ثم تغنى :

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبداً ليست بذات قروح
أباها عليّ الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح ؟

(١) تذمم الرجل : استنكف .

أنّ من الشرق الذي في جوانبي أنينَ غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله أني اسمع اعضائي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي ، ثم غنى :

ألا ياحمامات اللوى عُدنَ عودةً فاني إلى أصواتكن حزينُ
فعدن فلما عدن كدن يُمتنني وكدت باسراري لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما سقين حميّا او بهن جنون
فلم ترَ عيني مثلهن حمائماً بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد ، والله أعلم ، عقلي ان يذهب طربا وارتياحاً لما سمعت ، ثم غنى :

الا يا صَبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ
أإن هتفت ورقاء في رونق [1] الضحى
على غَنَنٍ غضّ النبات من الرّند [2]
بكيتَ كما يبكي الحزين صبابةً
وذبت من الحزن المبرّح والجهد

وقد زعموا ان المحبّ اذا دنا يَمَلّ وان النأي يشفي من الوجد
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

ثم قال : يا ابراهيم ، هذا الغناء فخذه وانحُ نحوه في غنائك

(١) رونق الضحى : حسنه واشراقه .
(٢) الرند : شجر طيب الرائحة .

وعلّمه جواريك، فقلت : أعِده عليّ ، فقال : لست تحتاج ، قد اخذته وفرغت منه ، ثم غاب من بين يديّ فارتعت وقمت الى السيف فجردته ، وعدت نحو ابواب الحرَم فوجدتها مغلقة ، فقلت للجواري : أي شيء سمعتنّ عندي ؟ فقلن : سمعنا احسن غناء سُمع قط ، فخرجت متحيراً الى باب الدار، فوجدته مغلقاً ، فسألت البواب عن الشيخ ، فقال لي : أي شيخ هو ؟ والله ما دخل اليوم اليك أحد ، فرجعت لأتأمل أمري ، فاذا هو قد هتف بي من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا اسحق ، أنا إبليس وأنا كنت جليسك ونديمك اليوم ، فلا تَرَعْ .

فركبت الى الرشيد وقلت : لاأطرِفه أبداً بطرفة مثل هذه، فدخلت اليه فحدثته بالحديث ، فقال: ويحك! تأمّل هذه الاصوات هل اخذتها ؟ فاخذت العود امتحنها ، فاذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل ، فطرب الرشيد وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب ، وأمر لي بصلة وحُملان وقال : الشيخ كان اعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها ، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك !

القصص البطولي

١ - مقتل كليب

٢ - عنتر والاسد

القصص البطولي

•

لكل امة عريقة في المجد والمدنية تاريخ تستوحيه ، وماض تتطلع اليه ، وابطال تنسج حول اسمائهم هالة من الاحترام والقداسة ، تخلدهم في بطون الكتب وعلى الواح القلوب ، وتمجدهم بما تصوغه حولهم من حكايات اسطورية جميلة تظهر عبقريتهم الحربية وشجاعتهم النادرة ، مشيدة بما يتحلون به من سامي الاخلاق ورفيع السجايا .

ولم يخلُ تاريخ العرب من ابطال ميامين تغنّى بهم القُصّاص العرب فوضعوا فيهم الحكايات الجميلة تصف ايامهم المعروفة ، ووقائعهم المشهورة ، فكان لنا هذا القصص البطولي الذي نحن بصدده .

ولقد عرف الأدب العربي كثيراً من هذه الحكايات هاك بعضها:

١ – قصة شيبان مع كسرى انو شروان .

٢ – قصة بكر وتغلب .

٣ – قصة البرّاق .

٤ – قصة سيف بن ذي يزن .

٥ – سيرة بني هلال .

٦ – سيرة عنتر .

وسيرة عنتر هي اقرب هـذه الحكايات الى القصص البطولي . ويعدها بعض النقّاد للعرب مثل الألياذة لليونان [١] .

ولقد وضعنا امام القراء نموذجاً مختلفةً من هـذه الحكايات البطولية وفيها الشيء الكثير من الحوادث الخرافيـة ، والحماسات والمبارزات ، التي تجعلها ذات ميزة خاصة .

(١) راجع رسالة للمؤلف مخطوطة عنوانها « القصص العربي في الأعصر العباسية . »

مقتل كليب

كان كليب[1] قد عز وساد في ربيعة ، فبغى بغياً شديداً ، وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويُرحّلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الا بامره ، فضُرب به المثَل في العز فقيل : « أعزّ من كليب وائل ». وكان لا يُجير احدٌ من بكر وتغلب الا باذنه ، ولا يُحمى حمى الا بامره ، وكان اذا حَمى حمى لا يُقرب .

وكان لمرّة بن ذُهل بن شيبان عشرة بنين ، جسّاس اصغرهم ، وكانت اختهم عند كليب .

وكان لجساس[2] خالة تعرف بالبسوس ، فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس ، فكانت جارة لبني مرة ، ومعها ابن لها ، ولهم ناقة خوّارة[3] ومعها فصيل . فرأى كليب الناقة فانكرها ، فقال :

---

(١) كليب بن ربيعة سيد بني بكر وتغلب في الجاهلية ، ومن الشجعان الابطال ، قتل نحو ١٣٥ ق.هـ .

(٢) جساس بن مرة من بني بكر بن وائل ـ شجاع شاعر من امراء العرب في الجاهلية قتل نحو ٨٥ ق.هـ .

(٣) خوارة : حسنة

لمن هذه ؟ قالوا : لخالة جساس . قال : أوقد بلغ من امر ابن السعدية ان يُجير عليّ بغير اذني ! إرمِ ضَرْعها يا غلام . فاخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها .

وراحت الرعاة على جساس فاخبروه بالامر ، فقال : احلبوا لها مِكيالَيْ لبن ، ولا تذكروا لها من هذا شيئاً .

فسكت جساس حتى ظَعَن ابنا وائل ، فمرت بكر على نِهْيٍ[1] يقال له شبيث ، فنفاهم كليب عنه ، وقال : لا يذوقون منه قطرة. ثم مروا على نِهي آخر يقال له الأحصّ فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجُرَيب[2] فمنعهم إياه ، حتى نزلوا الذنائب[3] وتبعهم كليب وحيّه حتى نزلوا عليه .

ثم مرّ عليه جسّاس ، وهو واقف على غدير الذنائب ، فقال: طردت هلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً ؟ فقال كليب : ما منعناهم من ماء ، إلا ونحن له شاغلون . فقال له جساس: هكذا كفعلك بناقة خالتي ! فقال له : أو قد ذكرتها ؟ اما إني لو وجدتها في غير إبل مُرّة لاستحللت تلك الابل بها !

فعطف عليه جسّاس فرسه فطعنه برمح فانفذ حِضنيه،[4] فلما تداعمه الموت قال : يا جسّاس ، اسقني من الماء . قال : عقلت استسقائك الماء منذ ولدتك امك إلا ساعتك هذه ! ثم امال يده

---

(١) النهي : الغدير
(٢) الجريب : اسم واد عظيم
(٣) الذنائب : اسم موضع بنجد
(٤) الحضن : ما دون الأبط الى الكشح .

بالفرس حتى انتهى الى اهله .

فقالت اخته حين رأته لأبيهـــا : ان ذا جساس اتى خارجاً ركبتاه ، قال : والله ما خرجت ركبتاه الا لأمر عظيم .

فلما جاء قال : ماوراءك يا بنيّ ؟قال:ورائي اني قد طعنت طعنة لتشغلنّ بها شيوخ وائل زمناً ! قال : اقتلت كليباً ؟ قال : نعم ! قال : وددت انك وإخوتك كنتم مِتّمْ قبل هـــذا ، ما بي الا ان تتشاءم بي ابناء وائل ! فقال جسّاس :

تاهّبْ عنك أهبـة ذي امتناع ... فان الامر جل عن التـلاحي[1]

فاني قـــد جنيتُ عليك حربا ... تُغصّ الشيخَ بالمـــاء القَراح

فأجابه أبوه :

فان تكُ قـد جنيت عليّ حربا ... فـــلا وانٍ ولارثّ السلاح

سألبس ثوبهـــا وأذبّ[2] عنها ... بها يوم المـــذلة والفضاح[3]

وكان همام[4] بن مرة آخى مهلهلاً[5] وعاقده ألا يكتمه شيئاً ، فجاءت أمَةٌ له فأسرت اليه قتل جساس كليباً ، فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره فذكر العهد بينهما ، فقال : أخبرتني أن جساساً قتل كليباً ، فلم يصدق مهلهل الخـــبر . واجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كليب : رحّلي جليلة[6] عن مأتمك فان قيامها فيه شماتة

---

(١) التلاحي : المنازعة .

(٢) أذب : أدافع .

(٣) الفضاح : كشف المساوىء .

(٤) همام : أخو جساس . (٢) المهلهل : أخو كليب .

(٥) زوج كليب وأخت جساس

وعار عند العرب، فقالت لها يا هذه أخرجي من مأتمنا ، فأنت أخت واترنا [1] وشقيقة قاتلنا ، فخرجت ، وهي تجرّ أعطافها ، فلقيها أبوها مرّة فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت : ثكل العدد وحزن الابد ، وفقد خليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين ذين غرس الأحقاد ، وتفتت الاكباد. فقال لها: أو يكفّ ذلك كرم الصفح واغلاء الديات؟ فقالت جليلة : أمنية مخدوع ، ورب الكعبة ! أبالبُدن [2] تدع لك تغلب دم ربهـــا ؟

ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ! ويل غداً لآل مرة ، من الكرّة بعد الكرّة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ أسعد الله جدّ [3] أختي ! أفلا قالت: نفرة الحياء وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الاقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امريء ليمت على ... شَفَق منهـا عليه فافعلي
جلّ عندي فعـل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جسّاس على وجدي به ... قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي

*

يا قتيـلاً قوّض الدهر بهِ ... سقف بيتيّ جميعـاً من عَل

---

(١) الواتر : الآخذ بالوتر وهو الثأر .
(٢) البدن : النياق السمينة
(٣) الجد : الحظ .

يا نسائي دونكنّ اليوم قد خصّني الدهر برزء مُعضل
خصّني قتل كليبٍ بلظىً من ورائي ولظى مستقبلي
إنني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلّ الله ان يرتاح لي !!

ثم قال بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تعجلوا على اخوتكم حتى تُعذروا [1] بينكم وبينهم . فانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مُرّة بن ذُهل ، فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا : إختر منا خصالاً : إما أن تدفع الينا جسّاساً فنقتله بصاحبنا ، فلم يظلِم من قتَلَ قاتله ، وإما ان تدفع الينا هماماً ، وإما ان تُقيدنا من نفسك.

فسكتَ وقد حضرتهُ وجوه بني بكر بن وائل ، فقالوا : تكلم ، غير مخذول ، فقال : أما جسّاس فغلام حديث السنّ ركبَ رأسه ، فهرب حين خاف ، فلا علم لي به ، وأما همام فأبو عشرة ، وأخو عشرة ، ولو دفعته اليكم لصيّح بنوه في وجهي ، وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة [2] غيره ؟ وأما أنا فلا أتعجّل الموت ، وهل تزيد الخيل على ان تجول جولة فاكون أول قتيل ؟

ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بَنيّ ، فدونكم احدَهم فاقتلوه به وإن شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل . فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لنُترذل [3] لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن . فتفرّقوا ووقعت الحرب .

---

(١) تعذروا : أي حتى تسمعوا عذرهم
(٢) جريرة : ذنب
(٣) ارذل الدراهم : زيفها وردها .

عنتر والاسد

•

قال الراوي : وفي يوم من الايام، توغل عنتر في البر بالجمال والغنم ، وقصد بها الروابي والاكم . الى ان حميت عليه الشمس ، وبعُد عن حي عبس، فقصد شجرة من الاشجار، يستظل بها من حر النهار .وسرحت الاغنام ترعى، في ذلك المرعى، واذا هو باسد كبير من بطن الوادي ظهر يمشي ويتبختر،أفطس المَنْخَر، يطير من عينيه الشرر، يقلب الوادي اذا همر[1]، بانياب احدّ من النوائب ، ومخالب امرّ من المصائب ، شدوق شدقم[2] ، عبوس أدغم[3] ،تسمع الرعد اذا همهم ودمدم، يلمع البرق في عينيه اذا اظلم الليل واعتم . شديد الحيل، صعب المراس، عريض الكتف، كبير الرأس . فلما ظهر من بطن الوادي، وشمّت الخيل رائحته فرّت من هيبته ، وكذلك النوق والجمال، شردت في اليمين والشمال ، فلما نظر عنتر، الى ذلك الامر المنكر، نزل الى الوادي حتى يبصر، والسيف في يده مُشهَر.

---

(١) همر : ضرب الأرض ضرباً شديداً (٢) شدوق وشدقم : واسع الشدقين (٣) ادغم : ضارب الوجه الى السواد اكثر من سائر جسده .

واذا هو بالاسد رابطٌ باسط يديه، وهو يلعب بذنبه ويضرب بـــه جنبيه، والشرر يطير من عينيه . فعند ذلك زعق عنتر عليه زعقة دوت بها الجبال، وقال مرحباً بك ياأبا الاشبال ، يا كلب الفـــلا ، يا نحس وحوش البيداء ، فلقد ابديت بأسك وصولتك، وافتخرت بهمتك وهمهمتك ، فلا شك انك ملك السباع وسلطانهم المطـاع ، ولكن عُد بالخيبة والاذلال، فما انا كمن لاقيتَه من الرجـــال ،أنا مهلك الابطال ، انا مبتّم الاطفال . فأنا لا أرضى أن أقتلك بسنان ولا بحسام ، ولا بد ان أسقيك كأس الحِمام . ثم انه القى السيف من يده وحمل على السبُع وهو ينشد :

يا أيها السبع الهَجوم على الردى ها قـــد بقيت معفّراً ،منهوبا
أتريد أموالي تكون مباحـــة ها قـد تركتك بالدما مخضوبا
هذي فعالي فيك يا كلب الفلا هلاّ شهدت مواقعاً وحروبا ؟
لو كنت تعلم أن هـذا تلتقي مـني وتضحي للحِمام [1] شروبا
لم تأت نحوي تبتغي صيداً فقد وافاك حتفك عاجلا ، مصبوبا

ثم هجم على الاسد ، ووقع عليه كوقوع البرد . ونفخ عليه مثل الثعبان الاسود ، ووثب عليه حتى ساواه في وثبته ، وصرخ عليه صرخة أعظم من صرخته ، وقبض على فمه بكفيه ، واتكأ عليه فشقّ حنكيه ، الى حدّ كتفيه ، وصاح صيحـــة أزعج بها الوادي وجانبيه ، وصبر على الاسد حتى قضي عليه .

---

(١) الحمام : الموت .

القصص الديني

١ - خلق آدم

٢ - سفينة نوح

٣ - هلاك النمروذ

القصص الديني

•

عنينا بالقصص الديني كل حكاية كان موضوعها الاساسي الدين والرسل والانبياء . وهـذه الحكايات قديمة في الادب العربي قِدَم هذا الادب نفسه . ولقد نشأت ، أولَ ما نشأت ، حول تفسير آية من آيات القرآن الكريم . ثم توسع المفسرون في هذه الشروح المقتضبة بعض التوسع فكانت لنا مثل هذه الحكايات .

ولقد قام من يجمع هـــذه الحكايات ، وهي تروى على السنة الرواة ، بين دفتي كتاب . كما أن بعض الادباء العباسيين راح يقص حكايات الانبياء ، سارداً تاريخ حياتهم ، حاثّاً على اقتفائهم والاقتداء بهم فكان لنا من ذلك بعض الكتب مثل :

١ – كتاب قَصص الانبياء المعروف بالعرائس للثعالبي .

٢ – كتاب قصص الانبياء للكسائي .

٣ – قصة أهل الكهف .

٤ – قصة شمشون النبي للنيسابوريّ .

٥ – قصة سيدنا موسى الكليم ابن عمران .

٦ – قصة سيدنا يعقوب ابن سيدنا ابراهيم .

٧ – قصة سيدنا يوسف الصدّيق .

والحكايات الدينية التي يطالعها القارىء مختارة من الكتابين الاولين: العرائس وقصص الانبياء وهما أوفى هذه المجموعة وأنفسها.

خلق آدم

•

قال وهب بن منبه : خلق الله تعالى آدم ، فرأسه من الارض الأولى ،وعنقه من الثانية ،وصدره من الثالثة ، ويداه من الرابعة ، وبطنه وصدره من الخامسة ، وفخذاه وعجزه من السادسة ،وساقاه وقدماه من السابعة . وسماه آدم لأنه خلقه من أديم الارض .

قال ابن عباس : خلقه الله تعـــالى من أقاليم الدنيا . فرأسه من تربة الهند ، ويداه من تربة المشرق ، ورجلاه من تربة المغرب.

قال وهب بن منبه : لما خلق الله تعالى آدم على هـذه الصورة أمر الملائكة ان يحملوه ويضعوه على باب الجنة ، عند ممر الملائكة ، وكان جسداً لا روح فيه فذلك قوله تعالى : هل أتى على الانسان حين من الـــدهر لم يكن شيئاً مذكوراً [1] ؟ يعني لم يكن شيئاً مصوراً . وكان الملائكة يتعجبون من عجيب صفتـه وصورته لأنهم لم يروا مثله . وكان إبليس يطيل النظر اليه ويقول : ما خلق الله هذا إلا لأمر عظيم . وربما دخل في جوفه . إنه خَلْقٌ ضعيفٌ ،

(١) سورة الانسان الآية الاولى .

خُلِقَ من طين ، وهو أجوف ، والأجوف لا بد له من الاطعمة . فيقال إنه قال يوماً للملائكة : أما تعلمون ان الله فضّل هـذا الخلق عليكم ؟ فيقولون : نطيع أمر ربنـا ولا نعصيه وهو يقول في ذلك : إن فضّل عليّ لأعصينـه وإن فُضّلت عليه لأهلكنه .

سجود الملائكة لآدم

قال وهب : فلما استوى آدم قائماً ، نظرت اليه الملائكة كأنه الفضة البيضاء ، فأمرهم الله تعالى بالسجود . فأول من بادر بالسجود له جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، وعزرائيل والملائكة اجمعون . وأبى ابليس ان يسجد لآدم استكباراً وحسداً وقال الله له : ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، استكبرت ام كنت من العالين؟ قال ابليس : انا خير منـه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار تأكل الطين ، وانا الذي عبدتك في اكناف السموات مع الكروبيين والروحانيين والحافين والصافين والمقربين . فقال الله تعالى : لقد علمت في سابق علمي من ملائكتي الطاعـةَ ، ومنك المعصية ، فلن ينفعك طول عبادتك لسابق علمي فيك . ولقد أبلسْتُك من الخير كله الى آخر الأبد ، وجعلتك ملعوناً ، مغموماً ، مدحوراً ، شيطاناً رجيماً ، لعيناً . فعند ذلك تغيرت خلقته الى خلقة الشيطان فنظرت الملائكة إلى سوء منظره ، وشمّت منه رائحـة كريهة ، فوثبت اليه الملائكة بحرابهم ، وهم يلعنونه ، ويقولون : ملعونٌ ملعون ، رجيمٌ رجيم ... فأول من طعن منهم جبريل ، وبعده ميكائيل ، ثم ملك الموت ، والملائكة في جميع النواحي ،

وهو هارب من بين أيديهم، حتى القوه في البحر المسجور [1] بحرابهم، وهي حِراب من النار. فلم يزالوا يطعنونه حتى بلغوا به الفرات وغاب عن أعين الملائكة، والملائكة في اضطراب، والسموات في ارتجاف من جرأة إبليس عليه اللعنة.

الهام الاسماء لآدم

وعلّم الله آدم الأسماء كلها حتى عرف جميع اللغات حتى لغة الحيتان والضفادع وجميع ما في البر والبحر. قال ابن عباس: لقد تكلم آدم بسبعمائة لغة أفضلها العربية ثم أمر الله الملائكة ان يحملوا آدم على أكتافهم ليكون عالياً عليهم، وهم يقولون: قدّوس قدوس لا نخرج من طاعتك. فصارت به في طرق السموات. واصطفت حوله الملائكة، فلا يمر على صف منهم إلا يقول: السلام عليكم فيجيبونه: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا صفوة الله وخِيرته، وبديع فطرته. قال ابن عبّاس: فضُربت له في الصفح الاعلى قباب من الياقوت الاحمر، والزَّبَرْجد الاخضر فما مرّ آدم على ملأ من الملائكة أو مقام النبيين إلا ذكره باسمه واسم صاحبه، ثم ردته الملائكة إلى ربه جلّ جلاله.

خطبة آدم في الملائكة

ثم أمر الله تعالى جبريل أن ينادي في صفوف الملائكة أن

---

(١) المسجور: البحر المسجور أي المملوء وهو المحيط او الموقد او المختلط من السجير اي الخليط (تفسير البيضاوي) سورة الطور.

يجتمعوا على آدم ليخطب بهم . فنـــادى جبريل فاجتمع اليه أهل السموات أجمعون واصطفّ حوله عشرون الفَ صف ، كل صف على زينة أخرى . وأوتي آدم من الصوت ما بلغهم . ووضِع لآدمَ منبر الكرامة في سبع مراقٍ ، وعلى آدم يومئذ ثياب سندس ، في رقاقة الهواء ، وله صفرتان مرصعتان بالجواهر ، محشوتان بالمسك والعنبر ، وعلى رأسه تاج من الذهب ، مرصع بالجواهر ، له أربعة أركان ، في كل ركن منها درة عظيمة يغلب ضوءها ضوء الشمس والقمر ، وفي أصابعه خواتم الكرامة ، وفي وسطه منطقة الرضوان ، وله نور ساطع في كل غرفة في الجنة .

فوقف آدم على المنبر في تلك الزينة ، وقـــد علمه الله الاسماء كلها ، وأعطاه قضيباً من النور . فتحيّرت منه الملائكة ، وقالت : إلهنا : هل خلقتَ خلقاً أفضل من هذا ؟ فقال الله تعالى : يا ملائكتي ، ليس من خلقته بيدي كمن قلت له : كن فكان .

قال : فانتصب آدم على منبره قائماً وسلم على الملائكة وقال : السلام عليكم يا ملائكة ربي ، ورحمة الله وبركاته ، فاجابته الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله وبديع فطرته . فأتاه النداء من قِبَـل الله تعالى : يا آدم لهذا خلقتك ، وهذا السلام تحية لك ، ولذريتك إلى يوم القيامة .

وأخذ آدم في خطبته فكان أول ما بدا به أن قال : الحمد لله . فصار ذلك سُنّة لأولاده ، ثم ذكر علم السموات والارضين وما فيهنّ من الخلق الذي خلقه الله بعد ما أثنى عليه بما هو أنطقـه به والهمه إياه . فعند ذلك قال الله للملائكة ، أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم

صادقين ، يعني باسماء الخلق الذين ذكرهم آدم . فأقرت الملائكة بالعجز وقالوا :سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ! إنك أنت العليم الحكيم . قال الله تعالى : يا آدم أنبئهم باسمائهم فجعل آدم يخبرهم باسم كل شيء خلقه الله تعالى في البر والبحر حتى الذرّة والبعوضة. فتعجبت الملائكة من ذلك ، ثم قال الله : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، يعني ما كان إبليس في إضماره المعصية . قال ونزل آدم من منبره وقد زاد الله في حسنه وجماله ، ثم قرّب اليه قطيفاً من عنب الجنة فأكله . فهو أول شيء أكله من طعام الجنة . فلما استوفاه قال : الحمد لله تعالى ، لهذا خلقتك يا آدم ، فهي سُنّتك وسُنّة أولادك إلى آخر الدهر . ثم أخذته السِّنة فنام لأنه لا راحة للبدَن إلا بالنّوم . ففزعت الملائكة وقالت : النوم أخو الموت ، وهذا يموت . فلما سمع إبليس أن آدم أكل الطعام فرح وقال : سوف أغويه ...

سفينة نوح

●

لمّا عزم نوح على اتخاذ السفينة ، دعا بتابوت آدم فيه آلات النجارة مثل منشار وقدّوم وغير ذلك . وكان قد أوحى الله اليه أن يتخذ السفينة وقال له : اتخذها في ديار قومك ، واجعلها الف ذراع طولا وخمسمائة ذراع عرضاً ، وثلاثمائة ذراع سمكاً . وكان ينشر الخشب على مثل الألواح والمسامير ، كل واحد منها على اسم نبي من الانبياء . وكانت تضيء مثل الكواكب إلا ما كان منها باسم محمد (ص) ،فكان ذلك على نور الشمس والقمر ،وكان جبريل يعلمه ببنائها وكان هو يبني السفينة ويعينه أولاده وقومه المؤمنون على بنائها ، والناس كلهم يسخرون منه ويقولون : يا نوح بعد النبوّة صرت نجاراً ، وإنما نحن نشكو للقحط وانت تبني للغرق ، وهذا لكثرة جنونك . وكان نوح يقول : إن تسخروا منّا ، فانا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون [1] .

وكان القوم يأتون السفينة بالليل ويشعلون النار فيها ليحرقوها

(١) سورة هود آية ٤٠ .

فلا يضرها ذلك فينصرفون ويقولون : هـذا من سحرك يا نوح . فأقام نوح على بناء السفينة شهراً وجعل رأسها كرأس الطاووس ، وعنقها كعنق النسر ووجهها كوجه الحمامة ، وكوثلها [1] كـذنب الديك ، ومنقارها كمنقار الباز ، واجنحتها كاجنحة العقاب ،وعلق على كل طاقـــة من أجنحتها جواهر ملونة ، وركّب على كوثلها مرآة عظيمة لها ضوء عظيم .

ثم غشاها بالزفت وجعل حبالها سلاسل الحديد،وجعلها سبعـة أطباق ، لكل طبقة باب . وعلق على تلك الابواب قناديـــل . وكان عوج بن عناق يعاونه على نقل الالواح . فلمـــا فرغ من بنائها وقع العُث فيها ، فشكا ذلك الى الله تعالى ، فأوحى الله اليه : يا نوح ، انه لا تبقى السفينة عـلى صحتها إلا أن تسمّر فيها أربعة مسامير ، وتكتب عليها أسماء محمد (ص) وهم : أبو بكـر ، وعمر ، وعثمان ،وعلي ، ففعـــل ذلك نوح ، فصحّت السفينة . ثم أنطقها الله تعالى وقالت ، والناس ينظرون ويسمعون : لا إله إلا الله ، نوح نبي الله ، من ركبني نجا ومن تخلف عـــني هلك ، ولا يدخلني إلا أهل الاخلاص . فقـال نوح للقوم : أتؤمنون الآن ؟ فقال له القوم : إن هذا القليل من سحرك . ثم دعا نوح الله تعالى أن يأذن له في الحج فأذن له في ذلك فلما خرج الى الحج همّ القوم باحراق السفينة ، فأمر الله الملائكة فاحتملوها الى الجو ، فكانت هناك معلقة بين السماء والارض ، والقوم ينظرونها ، ولا يقدرون عليها ولا يعتبرون ، مع ما يرون من الآيات . فلما فرغ نوح من

(١) الكوثل : مؤخر السفينة

حجه دعا الله تعالى على قومه هناك فأمنت الملائكة على دعائه فاستجاب الله دعوته وذلك قوله تعالى : ونوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا له ، فنجيناه وأهله من الكرب العظيم [1] . فلما قضى مناسكه التفت فأذا هو بتنور آدم عن يمين الكعبة ، فسأل الله تعالى في ذلك التنور أن ينقله الى داره فاوحى الى الملائكة أن يحملوه الى دار نوح ، وكانت داره يومئذ في موضع مسجد الكوفة فرجع نوح من الحج وأنزلت السفينة في الهواء .

الغرق والطوفان

ثم أوحى الله تعالى إلى نوح أن ينادي في الطير والوحوش والسباع والهوام والانعام حتى يبلغها صوته . فوقف نوح على سطح داره، ثم نادى وقال: أيتها الوحوش الرائعة [2] ، والهوام الهائمة ، والسباع الضارية والانعام المتفرقة ، والطيور الطائرة ، هلموا إلى السفينة المنجية . فبلغت دعوته الشرق والغرب ، والسهل والجبل فأقبلت اليه هذه الخلائق زمرة بعد زمرة فقال نوح : اني أمرت ان أحمل في سفينتي هذه من كل زوجين اثنين : ذكر وانثى. فلما قال ذلك اقترعوا كلهم فكل من أذن الله له في حمله أصابته القرعة ، إلا من كان من بني آدم فانهم كانوا ثمانين: نساء ورجالا. وكانت الحية يومئذ عظيمة الخلق على قدر البعير، وكذلك العقرب كانت كالاسد اليوم ، وكان الاسد كالفيل اليوم . فضرب جبريل بجناحه على

(١) سورة الأنبياء آية ٧٦ .
(٢) الرائعة : ولعلها الراتعة .

الاسد وقال له : لا زلت موعوكا ، محموماً ، وضرب على فم الحية فأسقط أنيابها ، وضرب على العقرب فقطع فقراتها حتى لا يضرب أحد من بني آدم الذين في السفينة .

وكان ميعاد الغرق إذا فار التنور ، وكان نوح ينتظره ، فلما كان مستهل شهر رجب [1] نودي من التنور : قم يا نوح فاحمل في سفينتك من كل زوجين اثنين . فحمل في الباب الاول الرجال وجسد آدم ، وهو غضّ لم يتغير منه إلا أظافيره ، فانها اخضرّت من غير رائحة ، وحمل فيه أيضاً تابوت آدم ، وفيه عِصيّ الانبياء وعدد العصي ثلاثمائة وثلاث عشرة عصا ، مكتوب على كل عصاً منها اسم صاحبها .

وحمل في الباب الثاني النساء وفيه امرأته وبناته ، وحمل فيه جسد حواء . وحمل في الباب الثالث الوحوش والدوابّ وجميع الانعام . وحمل في الباب الرابع الطير وأجناسها والهوام الطائرة ، وغير الطائرة . وحمل في الباب الخامس السباع ، وكل ذي ناب ومخلب . وحمل في الباب السادس الحية والعقرب . وحمل في الباب السابع الفيل ، ذكراً وانثى ، والاسد ذكراً وأنثى ، ونوح واقف على صدر السفينة وهو يقول : اركبوا فيها بسم الله مجراها ومُرساها [2] حتى تجري وتقف ، وكان كل من ركبها يقول : بسم الله وعلى ملة نوح حتى اتخذوا مجالسهم وعلت الاصوات بالتهليل والتكبير . وكان الحمار يبطىء في صعوده الى السفينة لان إبليس

---

(١) رجب : من الشهور العربية بين جمادى الآخرة وشعبان .
(٢) سورة هود آية ٤٢

تعلق بذنبـــه . فقال نوح : ادخل يا شيطان ، فدخل الحمار ومعه إبليس ، فقـال له نوح : يا ملعون ، من أدخلك سفينتي ؟ فقال : أنت يا نوح حيث قلت : ادخل يا شيطان ، ولا بد لك من حملي ، فقال له نوح : لا تغوِ أحـداً من أهل سفينتي ، قال : نعم ولكني أغويهم إذا خرجوا من سفينتك .

وأقبل إبليس حتى قعـد على كوثل السفينة فأوحى الله تعالى الى جبريل ان يأمر خزنة المياه ان يبعثوها بغير كيل ولا وزن ، وان يضرب تلك المياه بجناح الغضب . ففعل جبريل ذلك بالميـاه فانبذرت [1] العيون والمثاقب على غير قدر ولا كيل ، وفار التنور ، وهطلت السماء بوابل عظيم ، والتقى الماء على امر قد قُدِر ، فكان ماء السماء أخضر ، وماء الارض أصفر متفجراً ، واخذت المياه في التدارك تُرمى ، والملائكة من خلالها بالبروق الخواطف ، والرعود القواصف . وابتدر الطوفان من كل جانب ومكان ، وملائكة الغضب تضرب باجنحتها ، وأوحى الله تعـالى الى ملائكة الارض أن يمسكوا الدنيا لئلا تتقلع من أصولها . وكانت الشياطين تتخلل الأصنام وتكمن في أجوافهـــا ، فتغوي القوم على السنتها . فلما عاينت الطوفان أخذت تُنفر النار من أجوافها ، فضربتها الملائكة باجنحتها ومنعتها من الخروج حتى غرقت مع الاصنام . وأمر الله الملائكة أن تحمل البيت الحرام الى السماء الدنيـــا ، وكان الحجر الاسود يومئذ أشد بياضاً من الثلج فيقـال : إنه سوّد من خوف الطوفان وفي رواية أخرى ، سوّد من ذنوب العباد . فاضطربت

---

(١) انبذرت : خرجت بالماء .

الأمواج كما قال الله تعالى : وهي تجري بهم في الأمواج كالجبال ، ونادى نوح ابنه (كنعان) ، فقال له : يا بنيّ اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين [1] ، وكان واقفاً على تل . وقال كنعان : سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، فقال نوح : لا عاصم اليوم من أمر الله (وقضائه) إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين [2] .

وكانت السفينة تجري يميناً وشمالا ولا تجاوز ديار قوم نوح ، فأوحى الله تعالى الى السفينة أن تحفظ من فيها كحفظ الوالدة للولد.. وأمرها الله تعالى أن تطوف بنوح أقطار الارض والدنيا . فعند ذلك أطبق نوح أبوابها وجعل يتلو صحف شيث وإدريس ، وكان أهل السفينة لا يعرفون الليل والنهار إلا بخرزة بيضاء ، مركبة في صدر السفينة ، فاذا نقص ضوؤها علموا أنه النهار ، وإذا زاد ضوؤها علموا أنه ليل . وكان الديك يصعق عند الصباح فيعلمون أنه قد أصبح الصباح . قال وهب بن منبّه : ان الديك إذا صعق يقول : سبحان الملك القدوس ، سبحان من ذهب بالليل وجاء بالنهار خلقاً جديداً ، يا نوح : الصلاةَ يرحمك الله ، والدنيا قد صارت طبقاً واحداً من الماء ، لا يُرى حجرٌ ولا جبل ولا شجرة . وكان الماء قد علا على الجبال اربعين ذراعاً ، وسارت السفينة حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت بأذن الله وقالت : يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي تسكنه الانبياء من

---

(١) سورة هود آية ٤٤

(٢) سورة هود آية ٤٠

ولْدِك . ثم سارت الى موضع الكعبة وطافت سبعاً ونطقت بالتلبية . ولبّى نوح ومن معه بالسفينة ، ثم مرّت وكانت لا تقف في موضع إلا تناديه : يا نوح هذه بُقعة كذا وكذا ، حتى طافت بنوح المشرق والمغرب ثم كرّت راجعة الى ديار قوم نوح ، فوقفت وقالت : يا نبيّ الله ، ألا تسمع الى صلصلة السلاسل في أعناق قومك ؟ فلم تزل السفينة كذلك ستة أشهر أوّلها رجب وآخرها ذو الحجة [1] . ثم سارت حتى استقرت على الجوديّ [2] بعد ستة اشهر.

ثم ان الله تعالى أوحى الى الارض والسماء فقال : يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي . . . يعني احبسي المطر . وغِيضَ الماء ، وقضيَ الأمر بين الفريقين ، واستوتْ على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين ، وسكتت السماء عن المطر ، وبلعت الارض ما كان على ظهرها من الماء . . .

---

(١) ذو الحجة : آخر اشهر السنة العربية وهو شهر الحج

(٢) الجودي : جبل بارض الجزيرة

هلاك النمروذ

•

قال الله تعالى : قد مَكَرَ الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعـــد ، فخرّ عليهم السقفُ من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيثُ لا يشعرون [1] .

روت الرّواة بأسانيـد مختلفة أن أول جبار كان في الارض النمروذ بن كنعان. وكان الناس يخرجون ويمتارون من عنده الطعام ، فخرج اليه إبراهيم يمتار مع من يمتـــار . وكان النمروذ اذا مرّ به الناس قال لهم : من ربكم ؟ قالوا أنت . حتى مر به ابراهيم ، قال له : من ربك ؟ قال : ربي الذي يحـــيي ويميت . قال : أنا أحيي وأميت . قال ابراهيم : فان الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر ، وردّ ابراهيم بغير طعام . فرجع ابراهيم الى أهله فمرّ بكثيب أعفر [2] فقال لآخـذنّ هذا ، فآتي به أهلي ، فتطيب به قلوبهم حين أدخل عليهم . فأخذه ابراهيم فأتى به

(١) سورة النحل : آية ٢٨ .
(٢) الأعفر : المقفر .

اهله ، فوضع متاعه ثم نام .

فقامت امرأته الى متاعه ففتحته ، فاذا هو بأجود دقيق رأته ، فأخذته وصنعت منه طعاماً. فلما أفاق قدمته اليه ، وكان عهده بأهله أن ليس معهم شيء ، ولا عندهم طعام . فقال لهم : من أين هذا ؟ فقالت : من الطعام الذي جئت به . فعلم ابراهيم أن الله رزقه ، فحمد الله وشكره .

ثم إن النمروذ لما حاجه ابراهيم، عليه السلام ، في ربه ، قال: ان كان ما يقول ابراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء ؟ فبنى صرحاً عظيما عالياً ببابل ، ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى إله ابراهيم فيما يزعم .

قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع . وقال مقاتل وكعب: كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها باللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ، ومعه غلامٌ ، وقد حمل قوسه ونشابه . وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً من أسفله . ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصاً فوق التابوت . ثم خلى عن النسور ، فطارت وصعدت طمعاً في اللحم حتى ابعدت في الهواء .

فقال النمروذ لفتاه : إفتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء ، هل قربنا منها ؟ ففتح الباب الأعلى ونظر ، فاذا السماء في هيئتها ، ثم قال : افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض كيف تراها ؟ ففتح فقال : أرى الارض مثل الحية البيضاء ، والجبال كالدخان . وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران ،

فقال لغلامه : افتح البابين ، ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها ، وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ، ونودي : أيها الطاغي ، أين تريد ؟ قال عكرمة : فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم ، فعاد اليه السهم ملطخاً بالدم فقال : كفيتُ شغل إله السماء. واختلفوا في ذلك السهم من أي شيء تلطخ ؟ فقال عكرمة : من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى. وقال بعضهم : أصاب السهم طائراً من الطير فتلطخ من دمه.

ثم أمر النمروذ غلامه ان يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك، فهبطت النسور بالتابوت، فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور، ففزعت وظنت أنه أمرٌ حدث في السماء ، وأن الساعة قد قامت .

ثم ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكاً أن امن حتى اتركك على ملكك قال : فهل ربٌ غيري ؟ فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه ، فقال له الملك : أجمع جموعك إلى ثلاثة ايام . فجمع النمروذ جموعه وجنوده . فأمر الله تعالى أن يفتح عليه باباً من البعوض ففعل، فطلعت الشمس ذلك اليوم ، فلم يروها من كثرة البعوض ، فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه ، فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبقَ منهم إلا العظامُ ، والنمروذ كما هو ، لم يصبه شيء من ذلك . فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه . فمكث اربعمائة سنة تُضرب رأسه بالمطارق . فأرحمُ الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه ، وكان جباراً اربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه . ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله ، سبحانه وتعالى ، وخذله .

فهرست

مقدمة ٣

الف ليلة وليلة

الف ليلة وليلة ٦
حكاية التاجر والجني ٨
حكاية الشيخ الأول والغزالة ١١
حكاية الصياد والمارد ٢٢
حكاية وزير الملك يونان ٣٠
حكاية الملك السندباد ٣٣
حكاية الوزير المحتال ٣٥

كليلة ودمنة

كليلة ودمنة ٤٢
مثل الناسك والفأرة ٤٥
مثل الناسك وجرة السمن والعسل ٤٧
مثل الأسد والذئب والغراب وابن آوى والجمل ٥٠

القصص الاخباري

ما هو القصص الاخباري ٥٦

الحكايات الحبية

مجنون ليلى ٥٧

قيس ولبنى ٦٨

عروة وعفراء ٨٣

شهيدا هوى ٩٠

الحكايات الغنائية والاجتماعية

يوم العقيق ١٠٠

اسحق الموصلي ١٠٢

ام جعفر تنوح على الرشيد ١٠٧

أعرابي في عرس ١٠٩

أمين ١١٣

ابليس في ضيافة ابراهيم الموصلي ١١٧

القصص البطولي

القصص البطولي ١٢٢

مقتل كليب ١٢٤

عنتر والأسد ١٢٩

القصص الديني

القصص الديني ١٣٢

خلق آدم ١٣٤

سفينة نوح ١٣٩

هلاك النمروذ ١٤٦

٤٨ ـ ٢ ـ ٨٨

DATE DUE

سليمان ،موسم
يحكى عن العرب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01039291
5 A.U.B.